الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الإيجاز وجمالياته الفنية والدلالية في القرآن الكريم

- سورة يوسف أنموذجا -

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة العربية وآدابها

شعبة: الدراسات اللغوية – تخصص: لسانيات الخطاب

إعداد الطالبتين:

- خويرة مرابط
- خالدية بوسهوة

إشراف الأستاذة:

بوهنوش فاطمة

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة
بالول أحمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
بوهنوش فاطمة	أستاذة التعليم العالي	مشرفا ومقررا
موفق عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1443هـ –1444هـ / 2022م–2023م

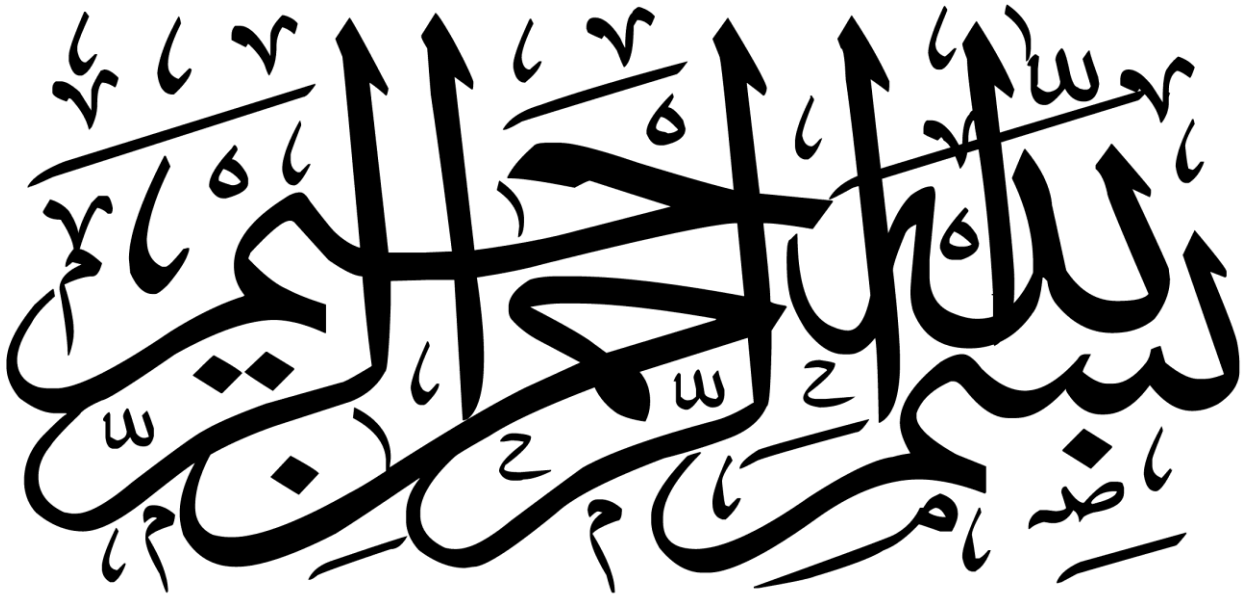

﴿شكر وعرفان﴾

نحمد الله تعالى أولا وآخرا، فهو المستحق للحمد والثّناء والشّكر،

وهو القائل في كتابه المنزّل: ﴿**ولَئِن شَكَرتُم لَأَزِيدَنَّكُم**﴾ [سورة إبراهيم: 07].

وعملا بقول رسوله الكريم: «**لا يشكر الله من لا يشكر النّاس**» رواه الإمام احمد والبخاري.

نتقدّم بجزيل الشّكر والثّناء العطر لأستاذتنا الكريمة: **بوهنوش فاطمة** الّتي لم تتوان في تقديم المساعدة من بداية المذكّرة إلى نهايتها، فما عسانا أمام هذا العطاء إلّا أن نكافئها بالدّعاء لها، نسأل الله تعالى أن يُعظم لها الجزاء الحسن في الدّنيا والآخرة.

نشكر الأساتذة المناقشين على قبولهم مناقشة مذكّرتنا.

نشكر الأستاذة الدّكتورة **فارز فاطمة** على كلّ ما أفادتنا به من توجيه ونصح، والأستاذة **بلحاج ميمونة** الّتي أعطتنا من وقتها وجادت علينا بكتبها.

كما نتقدّم بالشّكر الجزيل إلى كلّ من ساعدنا من قريب أو بعيد.

إهداء

إلى ماسحة الدمع والحزن، إلى ينبوع العطف والحنان، إلى من تفرح لفرحي وتحزن لحزني، إليك يا أعزّ من عيني *أمي*.

إلى سبب قوّتي ونجاحي، وسندي في زماني، إلى الّذي يشقى ويتعب من أجل إرضائي، إلى بركة بيتنا *أبي* الحنون

إلى إخواني: *محمد، جلال، بلال، علاء الدّين*

إلى أختي وحبيبتي: *سهام*

إلى أبو أولادي زوجي وسندي: *عبد الرّزاق*

إلى فلذة كبدي: *عبد الودود، سهام، سند*

إلى معلّمتي معلّمة القرآن؛ *بوزيان فايزة*

وإلى شيخي: الأستاذ *رفيق صيقع*

إلى صاحبة الرّفقة الطّويلة في طلب العلم، عبر السّنوات الماضية الحافلة صديقتي الدّكتورة *ميمونة بلحاج*

إلى كلّ هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.

خويرة

إهداء

إلى

روح والدي ...

والدتي العزيزة ...

زوجي ...

إخوتي جميعا ...

إلى كلّ من سخّره الله لمساعدتي ومدّ يد العون ليرى هذا العمل النّور

أهدي هذا العمل

خالدية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على خاتم الأنبياء وإمام المرسلين محمّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين وبعد:

حظي القرآن الكريم باهتمام العديد من الدّراسات وحقول الباحثين، مستثيرا في ذلك عقول العلماء والفقهاء الدّارسين بإعجاز ألفاظه وعمق معانيه، لدراسته وتدارسه؛ ساعين في ذلك للوصول إلى أسرار تراكيبه وعمق معانيه، وفكّ شفراته والتّأمّل في جماليّاته وفنّيّاته المائزة ودقّة دلائله.

ولما كانت علوم البلاغة ذات صلة بالإعجاز البياني للقرآن الكريم، فإنّ الإيجاز ضرب من ضروب تلك العلوم البلاغية الّتي تساهم في سموّ النّصّ الأدبيّ الّذي يشتمل عليها؛ وتظفي حلاوة على نظمه وتراكيبه؛ بل إنّ كثيرا من علماء البلاغة عدّ أسلوب الإيجاز أرقى فنون البلاغة وأعلاها لما له من آثار ظاهرة على النّصّ المشتمل عليه.

فالإيجاز من أبرز القضايا اللّغويّة الّتي حرّكت عجلة الدّراسات نحو الافتراض والتّقدير لفهم المقصديّات الضّمنيّة الخفيّة، الثّاوية بين طيّات السّياق للظّفر بالمعنى العميق للخطاب القرآني، وقد حظي بحيّز وافر من دراسات النّحويّين والبلاغيّين العرب، فما من كتاب في هذه الدّراسات إلّا وأفرد فرد له جانبا أساسيّا، وتتبّع جماليّاته، وكذا أغراضه ومقاصده.

وإن كان النّحويّون هم أوّل من تطرّق إلى هذه الظّاهرة وضبط قوانينها ودرس تجلّياتها في القرآن الكريم والنّصوص الشّعريّة، فإنّ البلاغيّين كان لهم السّبق في التّنبيه إلى الآثار الجماليّة والفنّيّة والدّلاليّة.

والمتدبّر في نظم القرآن الكريم يرى أثر أسلوب الإيجاز في النّسق البياني للقرآن الكريم، وخاصّة سورة يوسف الّتي جاءت مليئة بالشّواهد البلاغيّة، ممّا جعل لهذه الصّورة خصيصة في نظمها، ليست لغيرها من الصّور وذلك لما حوته من نماذج بلاغيّة ظهر من أبرزها أسلوب الإيجاز الّذي برع النّظم القرآني في إيوائه في ثنايا السّورة.

انطلاقا من الأهمّيّة البالغة لأسلوب الإيجاز وعلاقته الوثيقة بالمستوى الدّلالي؛ انبثقت فكرة البحث في هذا المجال باختيار القرآن الكريم مدوّنة لذلك، وقد وسم بـ:

الإيجاز وجماليّاته الفنّيّة والدّلاليّة في القرآن الكريم –سورة يوسف أنموذجا–

وممّا دفعنا لتناول الخطاب القرآني؛ هو الميل للدّراسات القرآنيّة، فكتاب الله هو أحقّ كتاب يصرف فيه الطّالب وقته وجهده، والقرآن الكريم هو خير مجال للتّعرّف على أساليب اللّغة العربيّة، وكذا التّعرّف على بلاغة المفسّرين، ففي كتب التّفسير إضاءة بيانية لا نجدها في كتب البلاغة إضافة إلى السّعي والتّقرّب من الله، ونيل رضاه.

وممّا سبق تناوله، فقد دعتنا الحاجة إلى اختيار هذا الموضوع دون سائر المواضيع الأخرى، والتي أردنا فيها أن نكشف جانبا بسيطا من مضمونه؛ بحيث وجدنا في أنفسنا الرّغبة الشّديدة في دراسته والولوج إلى أعماقه.

ولإثراء عملنا هذا أثرنا جملة من التّساؤلات بدءا بالإشكاليّة الرّئيسيّة:

وهي معرفة أين تكمن مواطن الإيجاز في سورة يوسف؟ وما الأثر الّذي يخلّفه هذا الإيجاز من جمالية فنّيّة ودلاليّة؟

وتندرج تحتها جملة من التّساؤلات الفرعية أهمّها:

ما مفهوم الإيجاز في القرآن الكريم؟ وما هي آلياته؟

ما هي الخصائص الفنّيّة واللّغويّة للإيجاز؟

كيف يظهر الأثر الفنّي والجمالي من خلال الإيجاز في سورة يوسف؟

وما علاقة الإيجاز بالمتلقي؟

استنادا على ما ذكرناه آنفا؛ سنحاول معالجة الموضوع من خلال بحثنا هذا، والّذي قسّمناه إلى مقدّمة وفصلين وخاتمة، ومجموعة من الفهارس وقائمة المصادر والمراجع التي اتخذناها سبيلا في دراستنا.

كما جاءت الخطة على هذا النّحو:

الفصل الأول: مركزية الإيجاز في الثّقافة العربيّة.

لقد حاولنا في هذا الفصل أن نتطرّق إلى الإيجاز في سياق العربي القديم، وذلك من خلال تعريفات بعض من النّحّاة والبلاغيّين القدامى، وفي نفس الصّدد تناولنا الإيجاز في السّياق العربي الحديث، تعرّضنا إلى جملة من العلماء المحدثين الّذين حاولوا أن ينهجوا نهج القدماء في تعريفهم وحدّهم

لمفهوم الإيجاز، وبطبيعة الحال درسنا جانب آخر؛ وهو إشكالية المصطلح وكذا مفهوم الإيجاز وأنواعه المعروفة في الدّراسات النّحويّة والبلاغيّة.

وموضوع الإيجاز وجماليّاته الفنّيّة والدّلاليّة في القرآن الكريم –سورة يوسف أنموذجا– جديد حسب ما اطّلعنا عليه، بحيث لم يفرد بالتّأليف ولم يدرس دراسة دلاليّة وجماليّة مستفيضة، ذلك أنّ معظم الدّراسات في هذا الموضوع غلب عليها الإجمال دون التّفصيل، وسادها التّنظير دون التّطبيق، كما أنّ بعض العلماء البلاغيّين تناولوه بوصفه جزئيّة في مؤلّفاتهم: كأبي منصور الثّعالبي في (الإيجاز والإعجاز)، والرّازي (في نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز) وابن الأثير في (المثل السّائر).

أمّا بعض المحدثين فحاولوا الوقوف على بعض الدّقائق البيانيّة والجماليّة للنّصّ القرآني، كفاضل صالح السّامرائي في (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل).

ومن الدّراسات الّتي تطرّقت إلى موضوع الإيجاز على سبيل المثال لا الحصر نجد مجموعة من رسائل الماجستير:

- ❖ الإيجاز والإطناب في سورة يوسف من إعداد الطّالب: عبد السّلام مصطفى السّلمان، الأردن 2008م.
- ❖ الإيجاز في سورة يوسف عند المفسّرين –دراسة وصفيّة بلاغيّة– إعداد الرّسما نور الهداية، ماليزيا
- ❖ بلاغة الإيجاز في الشّعريّة العربيّة، إعداد يوسف بديدة، باتنة، 2008–2009م.

ومن **المجلّات** نجد:

- ❖ جماليّة الأسلوب القرآني الكامنة في صور الحذف، إعداد عمر رحمن حميد الآركي، مجلة جامعة تكريت العلوم، المجلد 19، العدد 9–2012م.
- ❖ من أسرار الإيجاز وصوره في القرآن –دراسة بلاغية–، إعداد الدّكتور أشرف حسن، مجلة جامعة المدينة العالمية (مجمع) العدد 11–2015م.

ومن **الكتب** الّتي اعتمدنا عليها لإنجاز هذا البحث نذكر منها:

- **كتب التّفسير:**

- ❖ البرهان في علوم القرآن للزّركشي.

- ❖ التّحرير والتّنوير للطّاهر عاشور.
- ❖ مفاتيح الغيب لفخر الرّازي؛ الّتي أفادتنا في تفسير الآيات.
- ❖ كما اعتمدنا على بعض الرّسائل الجامعيّة نذكر منها: بلاغة الإيجاز في القرآن الكريم.
- ❖ بلاغة الإيجاز في الشّعرية العربيّة، يوسف بديدة، باتنة، 2009، 2008م.

حيث أنّهم عالجوا موضوع الإيجاز بصفة عامّة، وأغفلوا الجانب الفنّي والجمالي.

ومن **كتب البلاغة**:

- ❖ الحذف البلاغي في القرآن الكريم لمصطفى عبد السلام أبو شادي.
- ❖ وأسلوب الحذف في القرآن الكريم وآخر في المعاني والإعجاز لمصطفى شاهر خلوف.

كما لا يخلو أيّ بحث من الصّعوبات والعراقيل الّتي تقف حاجزا أمام سير الدّراسة البحثيّة، وهي ضيق الوقت مع اتّساع حقل الموضوع، فقد ربط بين التّفسير والبلاغة وعلم النّحو، ممّا أوجد مادّة علميّة زاخرة كان من الصّعب التّحكّم فيها وتسخيرها لخدمة هذا الموضوع. ولم تكن رحلة البحث سهلة ويسيرة ذلك لأنّ الموضوع يتعلّق بكلام الله، والحكم على مسألة معيّنة لم يكن بالأمر الهيّن، مع العلم أنّنا لم نصدر حكما ولم نبد رأيا إلّا ما رآه أهل الاختصاص في ذلك.

فكلّ كلمة من كتاب الله تعالى تستلزم الدّقّة؛ بحيث تحتاج إلى التّحرّي والتّثبيت في كلّ لفظ وحرف وجملة.

إضافة إلى صعوبة الوقوف على الإطار الفنّي والجمالي لآليات الإيجاز، وذلك لعدم توفّر المصادر والمراجع الّتي تعالج الأمر وإن كان هناك مصادر فإنّها لم تصلنا أو أنّنا لم نصل إليها.

وكذا صعوبات الرّبط بين التّقديرات الضّمنيّة والايحاءات الدّلاليّة للإيجاز من خلال كتب التّفسير.

وختاما نتوجّه بالشّكر والامتنان إلى أستاذتنا المشرفة الدّكتورة بوهنوش فاطمة، الّتي أشرفت على هذا العمل المتواضع، فقد منحتنا الكثير من الوقت والجهد، وكانت لتوجيهاتها وملاحظاتها القيّمة الأثر الواضح في إنجاز هذا البحث، فقد كانت في عوننا وشدّ أزرنا بثقتها الّتي وضعتها فينا، ومرافقتها لنا حتّى أنهينا العمل تحت الرّعاية والعناية الّتي أحاطتنا بها، فنسأل الله أن يبارك لها في عمرها وصحّتها ويمنحها القوة خدمة لكتابه العزيز ولهذه اللّغة الكريمة.

كما نتقدّم بالشّكر الجزيل للسّادة أعضاء اللّجنة المناقشة؛ الّذين سيكون لهم فضل عظيم في تقويم هذا البحث، فجزاهم الله كل خير، وإلى كلّ من أعاننا على إنجاز هذا البحث؛ فلهم منّا جميعا جميل الشّكر والامتنان.

ونقول إن وفّقنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

والحمد لله بادئا وأخيرا على أن أعاننا بفضله فهو وراء كلّ الجهد والقصد، وإليه المبتغى طامحين في السّداد والصّواب في الرّأي.

الطالبتان:

مرابط خويرة – بوسهوة خالدية.

تيارت: 16 ذو القعدة 1444هـ / الموافق لـ 6 جوان 2023م

الفصل الأوّل

مركزيّة الإيجاز في الثّقافة العربيّة.

المبحث الأوّل: الإيجاز في السّياق العربي القديم.

المبحث الثّاني: الإيجاز في السّياق العربي الحديث.

المبحث الثّالث: أسلوب الإيجاز قراءة في المصطلح، المفهوم والأنواع.

المبحث الأوّل: الإيجاز في السّياق العربيّ القديم.

توطئة:

لا مريّة أنّ العربيّة قد نالت شرفا سامقا منذ اختارها المولى عزّ سلطانه لغة لكلامه المعجز، المتفرّد بأسلوبه والفريد بمفردته؛ إذ تعهّد المولى بحفظ كتابه الكريم فيها فقال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[1].

فما أعظمها من لغة وسعت كلام الله عزّ وجلّ؛ إذ امتازت بالوفرة اللّغويّة، وتنوّع طرائق التّعبير، ومنها الإيجاز.

فاللّغة العربيّة لغة إيجاز، وقد يكون الكلام فيه أوقع وأبلغ، ويؤدّي من المعاني ما لا يؤدّيه الإطناب والإطالة.

وقد أشاد الجاحظ بخاصّية الإيجاز، ونوّه إلى جمالها في معرض إشادته بكلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بأنّه: " الكلام الّذي قلّ عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجمع بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام وقلّة عدد الكلام"[2]

وكما جاء في كتاب الحديث النّبوي لعبد الدّايم صابر بأنّ:" خاصّية الإيجاز في كلام المصطفى صلّى الله عليه وسلّم تعدّ صدى مضيئا وترجمانا قوليّا صادقا"[3] لقوله صلّى الله عليه وسلّم:" وأوتيت جوامع الكلم".[4]

---

[1] سورة الحجر:09.

[2] البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط:1975، 4، ج1، ص:90.

[3] الحديث النّبوي رؤية فنّيّة جماليّة، عبد الدّايم صابر، دار الوفاء، الإسكندريّة، ط1، 2000م، ص: 36.

[4] صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، تح: علي حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري، 2008م، مج:04، ص:503.

فالإيجاز الموجود في القرآن الكريم هو بمثابة النّسق الّذي تسير عليه هذه البلاغة؛ باعتباره خاصّية من الخصائص الفنّيّة الّتي يتّسم بها القرآن الكريم.

ولهذا الإيجاز أثر جماليّ واضـــح نلمحه من خلال قراءتنا للقرآن الكريم عامّة، ولجوامع الكلم خاصّـــة، وتكمن هذه الجمالية في حلاوة التّعبير، ولطف اللّفظ وشـــرف المعنى؛ فهما شـــريفان عفيفان لطيفان استعمالا وتعاملا.

1- الإيجاز عند النّحاة:

عرف أســـلوب الايجاز منذ أمدٍ بعيد ومن أقوال العرب الّتي كانت تردّد، والّتي أصـــبحت حِكما يتعلّمونها قولهم:" إذا طال الكلام عرضت له أسباب التّكلّف، ولا خير في شيء يأتي به التّكلّف"[1].

كما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: "أنّهم كانوا يقولون لا خير في فضول الكلام"[2].

1-1 الإيجاز عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ):

عُرف الخليل بهذا اللّون البلاغي الّذي يتجلّى في حذف المسند وحذف الجملة، وكان القصد إليه الإيجاز؛ مراعيا في ذلك حال المخاطب ومعرفته ببقيّة أجزاء الكلام، فكان بذلك ذكرها عبثا وحذفها بلاغة[3]، ويحكي لنا سيبويه أنّه سأل الخليل عن قوله جلّ ذكره: ﴿**وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾[4] .

---

[1] الصّناعتين: الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي محمد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2، ص: 18.

[2] البيان والتّبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1975، ج1، ص: 99.

[3] ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1998، ص:58.

[4] سورة الزمر: 71.

وعن قوله جلّ وعلا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[1]، فقال "أنّ العرب قد تترك في مثل هذا الخبر في كلامهم لعلم المخبر لأيّ شيء وُضع هذا الكلام"[2].

1-2 الإيجاز عند سيبويه (ت 180هـ):

من يتصفّح كتاب سيبويه يجده ينصّ في مواضع كثيرة على ضرورة الحذف لأسباب نراها تدخل في فنّ البلاغة مثل: التّخفيف والإيجاز والسّعة، وكلّ ما ذكره سيبويه من ألوان الحذف اعتبرها البلاغيّون من بعده مشتملة على الفصاحة والبلاغة[3]، ومن أمثلة الحذف لدى سيبويه؛ حذف المستثنى فيه استخفافا وذلك في قولك" ليس غير" و" ليس إلّا"، كأنّه قال: ليس إلّا ذاك وليس غير ذاك، ولكنّهم حذفوا ذلك تخفيفا واكتفاء بعلم المخاطب ما يعنيه.

وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقول: ما منهم مات حتّى رأيته في حال كذا وكذا، إنّما يريد ما منهم واحد مات[4].

ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[5].

كما قالوا: لو أنّ زيدا هنا، وإنّما يريدون: لكان كذا وكذا، وقولهم: ليس أحد؛ أي ليس هنا أحد، فكلّ ذلك حذف تخفيفا واستغناء بعلم المخاطب بما يعني[6].

ومنه قول الشّاعر ابن مقبل:

---

[1] سورة البقرة: 164.

[2] الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام محمّد هارون، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م، ج1، ص: 453.

[3] ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 70.

[4] ينظر: الكتاب، سيبويه، ص:345.

[5] سورة النّساء: 159.

[6] الكتاب، سيبويه، ص: 246.

ومَا الدَّهرُ إِلَّا تَارتَانِ فَمِنهَا أَموتُ **وأُخرَى** أَبتَغِي العَيشَ أَكْدَحُ[1].

إنّما يريد منهما تارة أموت وتارة أخرى.

1-3 الإيجاز عند ابن جنّي(ت392هـ):

الإيجاز عند ابن جنّي لا بدّ فيه من شرطين: أن يكون مفيدا ومستقلّا بنفسه، وكون إفادة الكلام شرطا لحسن الإيجاز أمر قد قرّره السّابقون ولا يختلف فيه أحد حتّى لا يكون الكلام مخلّا بالمعنى المقصود بسبب هذا الإيجاز.

لكنّ الشّرط الثّاني (استقلال الكلام بنفسه) هو الجديد في هذه النّظرة، ومن الواضح أنّ ابن جنّي يقف موقفا سلبيا إزاء الإيجاز الّذي لا يستقلّ بنفسه إذا كان مفيدا؛ فهو لا يصفه بالحسن ولا بالقبح، ولا بالعذوبة ولا بالجفاء[2].

2- الإيجاز عند البلاغيّين:

2-1 الإيجاز عند الجاحظ (ت255هـ):

عرّف الجاحظ الإيجاز في كتابه الحيوان:" قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما لصحار العبدي: ما الإيجاز؟ قال: أن تجيب فلا تبطئ، وتقول فلا تخطئ"[3]

يتّضح ممّا سبق، أنّ الإيجاز هو تقليل الكلام دون الإخلال بالمعنى، ففي بعض الأحيان الاقتصار في الألفاظ أفصح وأبلغ من الزّيادة في الكلام.

2-2 الإيجاز عند الرّمانيّ (ت 386هـ):

ولعلّ أشمل تعريف هو الّذي ذكره الرّمانيّ حين قال" الإيجاز تقليل الكلام من غير اخلال بالمعنى؛ وإذا كان المعنى يمكن أن يعبّر عنه بألفاظ قليلة؛ فالألفاظ القليلة إيجاز، والإيجاز على وجهين: حذف

[1] ديوان تميم بن مقبل، ص: 24.

[2] ينظر: أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، ص: 299.

[3] الحيوان، الجاحظ، مكتبة هلال، بيروت، د.ط، 2003م، مج1، ص:58.

وقصـــر، فالحذف إســـقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، والقصـــر بنيّة الكلام على تقليل اللّفظ وتكثير المعنى من غير حذف"[1]، وبهذا يكون الرّمانيّ قد فصّـل في قيود التّعريف وكأنّه قدّم القاعدة الّتي تحكم الإيجاز في الكلام، كما وقف على أنواعه.

2-3 الإيجاز عند السّكاكي(ت626هـ):

يعرّفه السّكاكي" أنّه أداء المقصود من الكلام بأقلّ عبارات متعارف الأوساط"[2]

2-4 الإيجاز عند ابن سنان الخفاجي(423هـ-466هـ):

استدرك الخفاجي على هذه التّعاريف أمرا مهمّا، فأضـاف شـرطا لا يتحقّق كمال القول إلّا به؛ وهو شـــرط الإفادة والوضـــوح وذلك بقوله:" هو أن يكون اللّفظ القليل يدلّ على المعنى الكثير دلالة واضـحة ظاهرة لا تكون الألفاظ لفرط إيجازها قد ألبسـت المعنى وأغمضـته حتّى يحتاج في اسـتنباطها إلى طرف من التّأمّل وتعميق الفكر، فإنّ هذا عيب في الكلام ونقص"[3]، فهو إذا يشـــترط الإفهام مع عدم الغموض وذلك بقوله:" فإن كان الكلام الموجز لا يدلّ على معناه دلالة ظاهرة فهو عندنا قبيح مذموم، لا من حيث كان مختصـــرا بل من حيث كان المعنى فيه خافيا"[4]، فهو بهذا يعطي الأهمية في فهم المعنى ويتجنّب اللبس والغموض إلى جانب الاختصار.

وعليه، فإنّ الخفاجي لا يجيز أن يكون بالإيجاز غموض يؤدّي إلى اللبس.

وبناء على ما تقدّم، يمكننا القول أنّ الإيجاز هو أداء المقصـــود من الكلام بأقلّ قدر ممكن من الألفاظ، أي هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة.

2-5 الإيجاز عند الزّملكاني(ت727هـ):

[1] النّكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّماني، ص:76.
[2] مفتاح العلوم، السّكاكي، تح: تميم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1987م، ص:277.
[3] سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1982م، ص: 243.
[4] المصدر نفسه، ص: 242.

ولعلّ الزّملكاني نظر إلى إيجاز القرآن الكريم فقال:" الإيجاز هو إثبات المعاني المتكثّرة باللّفظ القليل"[1].

إنّ أفضل الكلام ما قلّ ودلّ لذلك قال رسول الله ﷺ:"أوتيت جوامع الكلم واختصر لي اختصارا"[2]

2-6 الإيجاز عند ابن أبي الأصبع المصري(ت595هـ-654هـ):

ويذهب ابن أبي الأصبع إلى القول بأنّه" العبارة عن الغرض بأقلّ ما يمكن من الحروف من غير إخلال"[3]

2-7 الإيجاز عند ابن قيّم الجوزية (ت 751هـ):

فيما نجد أيضا ابن قيّم لا يبعد عمّا جاء به الأئمّة؛ كبهاء الدّين السبكي، وبدر الدّين الزّركشي وجلال الدّين السّيوطي فيما ذهبوا إليه من مفهوم الإيجاز وأنواعه، حتّى أنّه قيل: إنّ كتاب الإتقان نسخة مختصرة من البرهان في علوم القرآن؛ فقد قسّموا الإيجاز إلى عدّة أقسام وأوردوا التّعريفات لها.

كما أورد السّيوطي أنّ العلماء صنّفوا الإيجاز ثلاثة أصناف، وهذا هو المنفذ الّذي دخل منه قسم المساواة واعتمدوا في ذلك على ما وجدوا من آيات يساوي لفظها معناها، والصّنف الآخر من الآيات معانيها أوسع من لفظها، والصّنف الثّالث هو الإيجاز الّذي يحمل معاني متعدّدة كثيرة.[4]

---

[1] البرهان الكاشف عند إعجاز القرآن، الزملكاني كمال الدّين عبد الواحد بن عبد الكريم، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1975م، ص: 232.

[2] المرجع نفسه، ص: 232.

[3] تحرير الجبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تح: حنفي محمّد شرف، القاهرة، 1963م، ج2، ص:462.

[4] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1907م، دار إحياء الكتب العربيّة، ص: 220.

المبحث الثّاني: الإيجاز في السّياق العربي الحديث.

اتّسعت نظرة بعض المحدثين لهذا الصّنف البلاغي، واختلفت آراؤهم لهذا اللّون التّعبيريّ، واتّفقوا على مفهومه مع وجود الفارق في التّعبير عن المعاني الوفيرة باللّفظ القليل شرط الوضوح.

ويعرّف **عبد الفتّاح البسيوني** الإيجاز في قوله: "هو اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللّفظ القليل، أو هو عرض المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة مع الإبانة والإفصاح" [1]، فهو يركّز على الألفاظ القليلة ذات المعاني الكثيرة، مع وجوب الإبانة عنها.

كما يرى **الباحث أحمد الهاشمي** أنّ الإيجاز:" هو جمع المعاني المتكاثرة تحت اللّفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح"[2]، فالملاحظ هنا أنّ الإيجاز لم يوصف بكثرة المعنى وقلّة اللّفظ، بل تعدّاهما إلى الحديث عن أثر المعاني والألفاظ وكيفيّة التّأثير عليها.

ونجد **عبد الدّايم صابر** يعرّف الإيجاز فيقول:" هو من شروط الفصاحة والبلاغة لأنّه يعبّر عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة".[3]

ومنه نستنتج أنّ الإيجاز سمة من سمات الأدب الرّفيع البعيد عن اللّغة العادية المستعملة، وهذا ما يتوافق مع قول الإمام القزويني للإيجاز بقوله:" باب رفيع المنزلة شامخ في الشّرف، بل هو أنف البلاغة الّذي تغطس منه، وبابها الّذي تفتر عنه"[4]، وهذا ما يوحي لنا أنّ الإيجاز عند المحدثين هو فرع من فروع علم المعاني، ويراد به أداء المقصود من الكلام بأقلّ قدر ممكن من الألفاظ.

كما يتّضح لنا أنّ المحدثين نهجوا نهج القدماء في تحديدهم أو مقاربتهم لمفهوم الإيجاز، مع الإشارة إلى أهمّيته وأثره البلاغي والجمالي.

---

[1] البلاغة العالية علم المعاني عبد المتعال الصعيدي، تح: عبد القادر حسين، ط3، مكتبة الآداب القاهرة، 1423هـ، 2002م، ص:115.

[2] جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، 1427هـ، 2006م، ص: 137.

[3] الحديث النّبوي، رؤية فنّيّة جماليّة، عبد الدّايم صابر، ص: 58.

[4] التّلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 2009م، ص: 209.

- **عند عبد الله دراز (ت 1894م):**

في كتابه النّبأ العظيم يقرّ دراز بحقيقة مؤدّاها أنّ القرآن كلّه إيجاز، وهذا ما يقارب قول الرّماني:" وهذا في الحقيقة ليس جديدا؛ إلّا فيما خاض فيه صاحب النّبأ العظيم من تفصيل في مفهوم هذا الإيجاز بالنّظر إلى ما استقرّ في مباحث البلاغة العربيّة وعلاقته بمفاهيم الإطناب والمساواة" [1]، وعليه، فما"من كلام وجيز إلّا ويمكن تأدية معناه الإجمالي بأقلّ من لفظه أو بما يساويه، وإن لم يوفّ وفاءه، حتّى المثل الّذي عدّوه علما في الإيجاز قوله تعالى:﴿**وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ**﴾[2]، يمكن تأدية أصل معناه بقولك(انتقم تسلم)، أو(اقتصّ تحي) أو بالاكتفاء بكلمتين منه (القصاص حياة) "[3].

- **سيّد قطب والإيجاز في القرآن الكريم:**

حينما يتكلّم سيّد قطب عن الإيجاز في القرآن الكريم؛ لا يعطي اعتبارا لمفاهيم الإيجاز كما دُرست في كتب البلاغة؛ بل يركّز على كيفيّة ورود المشاهد وطريقة عرضها، والآثار النّفسيّة وما تتركه في كيان المتلقّي[4]، ومن أمثلة مشاهد القرآن الكريم قوله تعالى:﴿**وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا**﴾[5].

يخلص سيّد في هذا المشهد إلى ثلاثة عناصر وهي:" عناصر الصّدق والدّقّة والجمال، الصّدق في عرض أطوار النّبات، فلم ينقص شيئا منها لتحقيق الغرض الدّيني والدّقّة، لأنّه حقّق غرض الصّورة كاملا والجمال لأنّ سرعتها الخاطفة ممّا ينشط له الخيال"[6].

---

[1] أساليب الإيجاز في الخطاب القرآني، حميدي بن شارف، رسالة ماجستير، وهران، 2014-2015م، ص: 54.

[2] سورة البقرة: 179.

[3] النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار الثّقافة، الدّوحة، قطر، 1985، ص:128.

[4] ينظر: الإيجاز في الخطاب القرآني، حميدي بن شارف، رسالة ماجستير، ص: 56.

[5] سورة الكهف:45.

[6] التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط8، 1983، ص: 129.

- **عند عائشة عبد الرّحمن:**

تعتبر عائشة عبد الرّحمن واحدة ممّن ساهموا في إثراء الدّراسات القرآنيّة الحديثة لا سيما من خلال كتبها في (**التّفسير البياني للقرآن الكريم**)، و(**الإعجاز البياني للقرآن الكريم**)، وهي محاولة لقراءة متجدّدة ومعاصرة للخطاب القرآني.[1]

وعائشة عبد الرحمن واحدة من تلاميذ الأمين الخولي، الّذي دعا إلى التّجديد في البلاغة العربيّة من خلال تجاوز التّقسيم الثّلاثي للبلاغة (معاني، بيان، بديع)، إلى مصطلح واحد يتمثّل في البلاغة؛ وقد قسّم الخولي اتّجاهات البلاغة العربيّة إلى مدرسة علميّة ومدرسة أخرى فنّيّة، ودعا إلى الانتصار إلى هذه الأخيرة وهجر الأولى الّتي أظهرت عقمها وعدم جدواها.[2]

ومن التّفسير البياني للقرآن الكريم لعائشة عبد الرحمن في قوله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ**﴾[3]، وقوله تعالى:﴿**إِذَا رُجَّتِ ٱلۡأَرۡضُ رَجّٗا ٤ وَبُسَّتِ ٱلۡجِبَالُ بَسّٗا**﴾[4].

وقد شُغل " أكثر المفسّرين والبلاغيّين بتأويل الفاعل، عن الالتفات إلى اطراد هذه الظّاهرة الأسلوبيّة في أحداث يوم.

[1] ينظر: أساليب الإيجاز في الخطاب القرآني، حميدي بن شارف، ص: 62.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 62-63.

[3] سورة الحاقّة:13-14.

[4] سورة الواقعة: 04-05.

المبحث الثّالث: أسلوب الإيجاز: قراءة في المصطلح، المفهوم والأنواع.

1- إشكاليّة المصلح:

كثيرا ما يعالج الباحثون قضـيّة الإيجاز على أنّها قضـيّة فكريّة قبل أن تكون قضـيّة لغويّة؛ فهي طريقة حياتيّة لا تقتصـر على اللّغة من حيث ألفاظها أو عباراتها، ولكنّها نمط حياة تدعو إليه مواقف وسلوكات ظرفيّة ونفسيّة؛ تلزم المتحدّث التّعامل بالاختصار أو الإيجاز أو القصر أو الاقتصاد أو الإشارة أو التّضـمين أو الحذف.... في مجال المعاملة عامّة واللّغة خاصّـة، ومهما كان الأمر فإنّ الباحثين الأوائل عالجوا موضوع الإيجاز من وجهة نظر بلاغيّة بيانيّة، فقد قدّروها بالمواقف الّتي يعيشها الإنسان[1]، وهذا ما يوافقه التّعريف الّذي قاله خلف الأحمر:" البلاغة لمحة دالّة"[2].

وعليه، فعلماء اللّغة والبلاغة يحثّون على الإيجاز كلّما بلغت إليه الإسـتطاعة، وخاصّـة في بعض المواقف الّتي تدعو إلى العجلة من قلّة الوقت؛ وهذا ما نجده عند جعفر بن يحي المذكور الّذي خصّ طائفة معيّنة بطلب الإيجاز وهم: الكتّاب؛ فعلماء اللّغة عرفوا مكانة الإيجاز ضـمن علم البلاغة والبيان، وحدّوا في تعريفاتهم أنّ الإيجاز قرينة البلاغة أو الإيجاز هو البلاغة[3].

فالإيجاز عند العرب أكثر وأشـهر؛ ومن الأسـئلة الّتي وجهت إلى أبي عمرو بن العلاء حول الموضوع:

" أكانت العرب تطيل؟، قال: نعم، قيل: أكانت توجز؟، قال: نعم ليحفظ عنها"[4]

---

[1] ينظر: الإيجاز في القرآن الكريم، الحاج بكي، رسالة ماجستير، تلمسان، 2001م، ص: 122.

[2] العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، بيروت لبنان، مطبعة دار الجيل، ط4، 1972م، ج1، ص: 242.

[3] ينظر: الإيجاز في القرآن الكريم، الحاج بكي، رسالة ماجستير، ص: 122.

[4] الخصائص، ابن جنّي أبو الفتح، تح: محمّد علي النّجّار، مطبعة دار الكتب المصريّة، دار الهدى للطّباعة والنّشر، 1952م، ج:1، ص:75، 76.

وقال الإمام عليّ كرّم الله وجهه مبيّنا صـــفة البليغ: "إنّه هو المتمكّن من زمام البيان، يختار ما يناســـب المقام من الألفاظ العنيدة بالمعنى، وقال:" ما رأيت بليغا قطّ إلّا وله في القول إيجاز وفي المعنى إطالة"[1].

ومن العلماء العرب الّذين بحثوا في أسباب اشتهار الإيجاز عند العرب، ولم يكتفوا بدراسة اللّغة العربيّة؛ بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك نجد: الأســـتاذ أحمد حســـن الزيّات الّذي يرجع الإيجاز إلى الطّبيعة المتأصّلة فيقول:" وإذا كانت الوجازة أصلا في بلاغات اللّغات، فإنّها في بلاغة العربيّة أصل وطبع وروح؛ وأوّل الفروق بين اللّغات السّامية والآرية أنّ الأولى إجماليّة والأخرى تفصيليّة، يظهر من ذلك قولك (قتل الإنسان)، فإنّ الفعل في هذه الجملة يدلّ بصيغته الملفوظة، وقرينته الملحوظة على المعنى والزّمن والدّعاء والتّعجّب وحذف الفاعل، وهي معان لا نســـتطيع أن نعبّر عنها في لغة أوروبّيّة إلّا بأربع كلمات أو خمس"[2].

وقال أبو عمرو بن العلاء: أنكح ضرار بن عمرو الضّبي ابنته معبد بن زرارة فلمّا أخرجها إليه قال لها:" يا بنيّة أمسكي عليك الفضلين؛ قالت: وما الفضلان؟ قال: فضل الغُلَمَةِ وفضل الكلام."[3]

ومن المصـطلحات الّتي تنوّعت قديما عند علماء البلاغة نجد منها: الإشـارة؛ التّلميح، الاختزال، الاختصار، الاقتصار، الاكتفاء والاقتصاد وغيرها.

من أقوال العرب إذا طال الكلام عرضـــت له أســـباب التّكلّف، ولا خير في شـــيء يأتي به التّكلّف"[4]

[1] الصّناعتين، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط2، ص:18.

[2] البيان والتّبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج1، ط4، 1975م، ص:193.

[3] المرجع نفسه، ص: 168.

[4] ينظر: الصّناعتين، أبو الهلال العسكري، ص:179.

كما نقل عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله:" أنّهم كانوا يقولون: لا خير في فضول الكلام، ونقل عن عطاء رحمه الله قوله: فضول الكلام ما ليس في دين ولا دنيا مباحا"[1].

2- أسلوب الإيجاز: قراءة في المصطلح- المفهوم والأنواع-

2-1 مفهوم الإيجاز:

الإيجاز لون رفيع من ألوان البيان، ونوع شريف من الكلام عالي المقام، جم المحاسن، كثير الفوائد، أشاد به العلماء، وأثنى عليه أصحاب البيان؛ والإيجاز عند أهل البلاغة ضربان: إيجاز قصر وإيجاز حذف.

أ- **إيجاز القصر**: هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ الدّلّة عليها بلا حذف، وقيل أيضا، والّذي لا يمكن التّعبير عن معانيه بألفاظ أخرى[2]

وهو الوجيز بلفظه، يقول بهاء الدّين:" الكلام القليل إن كان بعضا من الكلام أطول منه، فهو إيجاز حذف، وإن كان كلاما يعطي معنى أطول منه فهو إيجاز قصر، وقال بعضهم إيجاز القصر، هو تكثير المعنى بتقليل اللّفظ"[3].

جاء في كتاب الصّناعتين لأبي الهلال العسكري، تعريف إيجاز القصر بأنّه:" تقليل الألفاظ، وتكثير المعاني، وهو ما ليس بحذف" [4]، فإيجاز القصر هو الإيجاز الّذي يتضمّن المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة من غير حذف مع الإبانة والإفصاح.

ولإيجاز القصر وجهان أو ضربان، ذكرهما ابن الأثير في تقسيمه للنّوع الثّاني من الإيجاز وهما:

الإيجاز بالتّقدير: وهو ما ساوى لفظه معناه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ**[5].

---

[1] البيان والتّبيين، الجاحظ، ج1، ص: 99

[2] ينظر: علم البيان، علم المعاني، علم البديع، ابن عبد الله شعيب، دار الهدى، دط، الجزائر، ص:241.

[3] من روائع الإيجاز والبديع في القرآن الكريم، أشرف حسن محمّد حسن الدّيبي، دار النّشر، ط1، 2016م، ص: 05، 06.

[4] الصّناعتين، أبو هلال العسكري، ص: 138.

[5] سورة عبس: 17.

في هذه الآية الكريمة نرى أنّها مزجت بين الدّعاء والتّعجّب، ويظهر ذلك في قوله تعالى:" قتل الإنسان"؛ أي دعاء عليه، وفي قوله:" ما أكفره"؛ أي تعجّب من إفراطه في كفران نعمة الله عليه[1].

الإيجاز بالقصر: وقد برز هذا النّوع بكثرة في القرآن الكريم وهو على قسمين:

1.ما يدلّ على محتملات متعدّدة: ومثال ذلك قوله تعالى:﴿**خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ**﴾[2]، في الآية الكريمة محتوى لجميع مكارم الأخلاق؛ إذ تحمل معنى الأمر بالمعروف والابتعاد عن الجاهلين وذلك بالصّبر والحلم وغيرها.

2.ما لا يمكن التّعبير عن ألفاظه بألفاظ أخرى مثلها: هو أعلى طبقات الإيجاز؛ ونادر في كلام البلغاء، وقد ظهر هذا في أنّ معن بن زائدة سأله أبو جعفر المنصور، فقال له: أيّهما أحبّ إليك: دولتنا أو دولة بني أميّة، فقال: ذاك إليك، ذال إليك: لا يمكن التّعبير عنها إلّا بألفاظ كثيرة، فالمعنى الّذي تحتويه وهي كلمتان فقط؛ أنّه إن زاد إحسانك على إحسان بني أميّة؛ فأنتم أحبّ إليّ، وهذه العبارة تحوي عشرة ألفاظ[3].

ب- **إيجاز الحذف:**

الحذف ظاهرة تركيبيّة تجلّت في القرآن الكريم بأشكال متعدّدة، ووظّفت في مواضيع كثيرة، ويعرّفه البلاغيّون بأنّه" التّعبير عن المعاني الكثيرة في عبارة قليلة، وذلك بحذف شيء من التّركيب مع عدم الإخلال بتلك المعاني"[4] ولا يمكننا أن نجد من بعض ألوان الحذف القرآني مثالا في غيره من كلام العرب.

[1] ينظر: المثل السّائر، ابن الأثير، تح: محمد عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998م، مج2، ص:93.

[2] سورة الأعراف:199.

[3] ينظر: المثل السّائر، ابن الأثير، ص:106.

[4] دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2011م، ص: 496.

وغاية الحذف استثارة المتلقّي وتجديد نشاطه[1]، وغايته أيضا التّخفيف وإيجاز الكلام واختصاره، والتّفخيم والتّعظيم والتّهويل والتّحقير، والغاية بالمذكور، وشرطه وجود دليل(قرينة) تدلّ على المحذوف وقد تكون خالية أو عقليّة أو لفظيّة؛ وأن لا يفضي الحذف إلى لبس في الدّلالة[2].

وعن هذا النّوع من الإيجاز يقول عبد القاهر الجرجاني:" هو فنّ عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، وذلك أنّك ترى الحذف أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة؛ وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون مبيّنا إذا لم تبن"[3].

ومن زاوية أخرى، ذكر ابن الأثير:" أنّ الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدلّ على المحذوف؛ فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنّه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب"[4].

فهذا النّوع من الإيجاز يكون التّنبّه له سهلا لأنّه يقوم على معرفة موضع الحذف في السّياقات الّتي يقع بها الحذف.

ويقسّم الحذف إلى أقسام: حذف حرف، حذف مفردة، تركيب، جملة ، حذف ما ليس بجملة ولا تركيب[5].

1- **حذف الحرف**: وقد يكون هذا الحرف من بنية الكلمة كالنّون في (لم يك) ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ**﴾[6].

---

[1] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتّوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت، ص: 38.

[2] ينظر: ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي، طاهر سليمان حمّودة، الدّار الجامعيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الاسكندريّة، د.ط، 1998م، ص:115.

[3] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص: 146.

[4] المثل السّائر، ابن الأثير، ص: 212.

[5] ينظر: ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي طاهر سليمان حمودة، ص: 07.

[6] سورة غافر:85.

(لم يك) أصـــلها: لم يكن؛ حذفت الواو لالتقاء السّـــاكنين، أمّا النون فحذفت من أجل الإيجاز ورغبة في التّخفيف، وفي قوله تعالى:﴿**قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُـــفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًـــا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ٨٥**﴾[1]؛ وهنا نجد إسقاط الحرف (لا) والأصل **(لا تفتؤ)**.

وهنا أيضا إيجاز بحذف **(لا)**؛ والتّقدير لا تفتؤ تذكر يوسف.

وقد كانت العرب توجز كثيرا في كلامها، وعليه نجد من ذلك قول **لبيد بن ربيعة**:

دَرَسَ **المَنَا** بِمُتَالِعٍ فَأَبَانِ بِالحِبْسِ بيْنَ البِيدِ والسُّوبَانِ[2].

أراد الشّاعر بقوله: درس **المنازل**.

ويقول **الحارث الجرمي**:

قُومِي هُمْ قَتَلُوا **أُمَيْمَ** أَخِي فَإِذَا رَمَيتُ يُصِيبُنِي سَهْمِي.[3]

وتماشـيا مع ما تمّ ذكره في هذا الموضـع؛ كانت حال الشّـاعر حزينة؛ لأنّ قاتلي أخيه هم قومه" فكيف يثأر منهم، وتلك الحالة اقتضـــت من الشّـــاعر الإيجاز في القول وطيّ الكلمات، فحذف حرف النّداء ورخم المنادى"[4] إذ الأصل هم قتلوا **يا أميمة** أخي.

وقد يكون المحذوف من الحروف حرفا من حروف الشّرط، وأحيانا بحذف حرف العطف أو الجرّ، وكلّ هذه المواضع تندرج ضمن وجوه إيجاز الحذف؛ وهو حذف حرف.

2- حذف كلمة:

فقد تكون الكلمة المحذوفة إمّا فعلا، أو فاعلا، أو مفعولا به، أو مبتدأ، أو خبرا نذكر منها مايلي:

---

[1] سورة يوسف: 85.

[2] جامع الكتب العربية، ديوان لبيد، د.ط، د.ت، ج1، ص: 136.

[3] شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النّحويّة، حمّد بن محمد حسن شرّاب، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، ج3، 2007م، ص: 83.

[4] علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص: 103.

2-1 حذف الفعل:

ويحذف الفعل ويبقى فاعله ليدلّ عليه؛ وهذا ما نجده في قوله تعالى:﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ** ﴾[1]، والتّقدير هنا: وإن استجارك أحد من المشركين، وتفسيرا لذلك يقول القرطبي عن هاته الآية: وإن أحد من المشركين أي من الّذين أمرتك بقتالهم استجارك أي نال جوارك، أي أمانك، فأعطه إيّاه ليسمع القرآن؛ أي ليفهم أحكامه وأوامره ونواهيه، فإن قبل أمرا فحسن، وإن أبى فردّه إلى مأمنه، وهذا ما لا خلاف فيه والله أعلم[2].

إذا الحذف في هذا الآية أدّى اختصارا وإيجازا واضحين.

ومن مواضـــع حذف الفعل قوله تعالى: ﴿ **وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ**﴾[3]، والمعنى والتّقدير هنا: ادعوا شركاءكم.

2-2 حذف الفاعل:

يحذف الفاعل كذلك من الكلام؛ ويكون في حذفه دلالة بلاغيّة معجزة لا تتوفّر مع ذكره، وإن كان كثير من النّحاة يرون أنّ الفاعل لا يحذف؛ وذلك لأنّه كالجزء بالنّسبة للفعل.[4]

فالفاعل يحذف مع وجود دلالة عليه؛ ومن ذلك قوله تعالى:﴿**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ** ﴾[5]؛ والتّقدير هنا: لقد تقطّع الأمر بينكم.

2-3 حذف المفعول به:

---

[1] سورة التّوبة، :06.

[2] الموقع الإلكتروني: /saltafs/ .Ksu .Edu//:httpM المصحف الإلكتروني، تفسير القرطبي، 2023/05/05، 10:00.

[3] سورة يونس: 71.

[4] ينظر: الإيجاز في كلام العرب ونصّ الإعجاز، مختار عطيّة، دار المعرفة الجامعيّة، د.ط، ص:278.

[5] سورة الأنعام:94.

بالنّســـبة لحذف المفعول به فقد تعدّدت واختلفت الأوجه فيه، "وقد يحذف المفعول به على جهة الإطراد وينسى فاعله"[1]، مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾[2]، والمعنى المتضمّن هو أنّ الله سبحانه وتعالى منه الإحياء والإماتة.

وقد يحذف المفعول أيضا" بغرض القصد إلى مجرّد الاختصار لنيابة قرائن الأحوال عن ذكره"[3] لقوله تعالى:﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ**﴾[4]،" والتّقدير هنا: يسقون(مواشيهم) وتذودان(غنمهما)، ولا تسقي(غنما)، ويصدر الرّعاء(مواشيهم)"[5]، فالمفعول المحذوف في السّياقات المذكورة كما يقول السّكاّكي هو الاختصار، بالإضافة إلى هذين الموضعين الّذين قد يحذف المفعول فيهما، وهناك أيضا مواضع أخرى ذكرها محمّد شاكر القطّان في كتابه الإيجاز، ولكلّ موضع غرض خاصّ به من بين هذه المواضع[6].

إذا لم نجد لحذف المفعول في هذا النّحو من الرّوعة والحسن ما وجدنا، إلّا لأنّ في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأنّ الغوص لا يصحّ إلّا على تركه[7].

أمّا قوله تعالى: ﴿**يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ**﴾[8].

---

[1] الإيجاز دراسة بلاغيّة ورؤية نقديّة، كلّيّة التّربية، محمود شاكر القطّان، المدينة المنوّرة، د.ط، 1989م، ص:48.

[2] سورة غافر: 68.

[3] مفتاح العلوم، السكاكي، تح: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1987م، ص:229.

[4] سورة القصص:23.

[5] مفتاح العلوم، السّكاكي، ص: 230.

[6] ينظر: الإيجاز دراسة بلاغيّة ورؤية نقديّة، محمود شاكر القطّان، ص:50.

[7] ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ص: 131.

[8] سورة البقرة:20.

فالتّقدير: كلّما أضاء لهم طريقا، والدّليل هو أنّ الفعل أضاء فعل متعدٍّ، وسبب الحذف أنّه" لما حذف المفعول أضاء وكانت النّكرة أصلا أشار إلى أنّهم لفرط الحيرة كانوا يخيطون خيط عشواء ويمشون كلّ ممشى"[1]

ومن شواهد حذف المفعول أيضا قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[2]، والتّقدير: لوشاء الله أن يذهب سمعهم وأبصارهم لذهب بها، " فمفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه؛ وذلك شأن فعل المشيئة والإرادة ونحوهما، إذا وقع متّصلا بما يصلح لأن يدلّ على مفعوله"[3]، ولذلك فليس في ذكر المفعول مزيد فائدة أو مزيّة.

ومنه أيضا قوله تعالى:﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[4]، وهنا في هذا الموضع؛ حذف مفعول سمعنا ومفعول عصينا، فهما فعلان متعدّيان يستوجب كلّ منهما مفعولا، والتّقدير: قد سمعنا قولك وعصينا أمرك[5].

وقد أفاد "الحذف مع الإيجاز الشّمول لكلّ ما يتناوله السّمع، وما يتحقق به العصيان، فكأنّهم قالوا: سمعنا كلّ أقوالك وعصينا كلّ أوامرك ونصحك وإرشادك"[6]

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج1، ص:176.

[2] سورة البقرة:93.

[3] التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، د.ط، 1984م، ج1، ص:321.

[4] سورة البقرة:93.

[5] ينظر: بلاغة الإيجاز في الشّعريّة العربيّة، يوسف بديدة، باتنة، رسالة ماجستير، 2008-2009م، ص: 46.

[6] الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص: 57.

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـــاوَىٰ وَوَجَدَكَ ضَـــآلًّا فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾[1]، والتّقدير في الآيات الكريمات: فآواك وهداك وأغناك، ووقع الحذف هاهنا إيجازا واختصـــارا ومراعاة للفاصـــلة القرآنيّة، يقول الطّاهر بن عاشـــور:" وحذف مفاعيل (فآوى، فهدى، فأغنى) للعلم بها من ضمائر الخطاب قبلها، وحذفها إيجاز، وفيه رعاية على الفواصل"[2].

وحذف المفعول به له سياقات يترجّح فيها هذا الحذف، كعدم تعلّق الغرض بذكره، أو دفع ما يوهم في أوّل الأمر خلاف المقصـود، أو لإفادة التّعميم مع الاختصـار، أو لتحقيق البيان بعد الإيهام، أو لاستهجان ذكر المفعول، أو للتّمكّن من إنكاره عند الحاجة إلى هذا الانكار[3]

2-4 حذف المبتدأ:

والّذي يجمل مصـطفى عبد السّـلام شـادي أكثر مواضـعه في القرآن الكريم في أربعة مواضـع هي: في جواب الاسـتفهام مثل قوله تعالى:﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾"[4]؛ والتّقدير هنا: هي نار حامية، وبعد فاء الجواب مثل قوله تعالى:﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[5]؛ والتّقدير: فعمله لنفســـه، وبعد القول مثل قوله تعالى:﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمۡ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾[6]، والتّقدير: هي أساطير الأوّلين.

وبعد ما الخبر له صـــفة في المعنى مثل قوله تعالى: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـــٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[7]، والتّقدير: هم التّائبون.

---

[1] سورة الضّحى:06-08.

[2] التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج30، ص:400.

[3] ينظر: البلاغة والأسلوبيّة، محمّد عبد المطّلب، ص: 325.

[4] سورة القارعة: 10، 11.

[5] سورة فصّلت: 46.

[6] سورة النّحل: 24.

[7] سورة التّوبة: 112.

2-5 حذف الخبر:

من أمثلة حذف الخبر قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[1]، والتّقدير: وظلّها دائم وفي قوله تعالى:﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[2]، والتّقدير: عليكم سلام.

2-6 حذف نائب الفاعل:

ويحذف الفاعل للعلم به وبخاصّة إذا بني للمجهول[3] كقوله تعالى:﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[4].

ففاعل خلق محذوف للعلم به؛ وقد يحذف الفاعل في مثل هذه الحالة للتّعظيم كقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[5]، فقد بنيت الأفعال: قيل غيض قضي للمجهول لتعظيم أمر الله.

وعليه يقول الزّمخشـــري:" ومجيء أخباره على الفعل المبني للمفعولات للدّلالة على الجلال والكبرياء، وأنّ تلك الأمور العظام لا تكون إلّا بفعل فاعل قادر، وتكوين مكوّن قاهر، وأنّ فاعلها واحد لا يشارك في أفعاله"[6].

3- حذف جملة:

---

[1] سورة الرّعد:35.

[2] سورة الذّاريات: 25.

[3] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص: 55.

[4] سورة النّساء: 28.

[5] سورة هود: 44.

[6] الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، الزّمخشري، تح: عادل أحمد عبد الجود، علي محمّد عوض، مكتبة العبيكان، ط1، 1418هـ، 1998م، ج2، ص:398.

يتعدّى الحذف الكلمة المفردة ليصـــل إلى حذف الجملة الّتي يكون حذفها تجنّبا للإطالة وجنوحا إلى الاختصـــار، ولذلك نلحظ أنّ حذفها يكون أو يقع في الأســـاليب المركّبة من أكثر من جملة؛ وهي أساليب الشّرط والقسم والعطف والاستفهام وبعد" إذا" الّتي تضاف إلى جملة"[1]. وأغلب ما يقع الحذف في جوانب هذه الأساليب.

ومن ذلك حذف **جواب الشّـرط** في قوله تعالى:﴿**وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ**﴾[2]، فجواب لو محذوف وتقديره: لكان هذا القرآن الّذي يصنع هذا به، وتتضمّن الآية على هذا تعظيم القرآن.[3]

ومن شواهد حذف جواب الشّرط قوله تعالى: ﴿**كَـــلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ**﴾[4]؛ وجواب لو محذوف للتّهويل؛ أي: لو تعلمون كذلك لفعلتم ما لا يوصـــف ولا يكتنه، أو لشـــغلكم ذلك عن التّكاثر وغيره.[5]

ومن حذف جواب إن الشّـرطيّة قوله تعالى: ﴿**فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ**﴾[6]، والتّقدير: فإن خفتم فصـــلّوا، ودلّ عليه ما قبله في قوله تعالى: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ**﴾[7].

---

[1] ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي، طاهر سليمان حمّودة، ص: 284.

[2] سورة الرّعد:31.

[3] ينظر: المحرّر الوجيز، ابن عطيّة، تح: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ط، د.ت، ج5، ص:443.

[4] سورة التّكاثر:05.

[5] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، الألوسي، ج30، ص: 225.

[6] سورة البقرة:239.

[7] سورة البقرة: 238.

ومن حذف جواب القسم قوله تعالى: ﴿**لَا أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ**﴾[1]، وجواب القسم يؤخذ من قوله: ﴿**أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ**﴾[2]، لأنّه دليل الجواب إذ التّقدير: " لنجمعنّ عظام الإنسان، أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه"[3]، ومنه أيضا قوله تعالى:" والفجر وليال عشر"[4].

وتفسيرا لذلك يقول الزّمخشري:" والمقسم عليه محذوف وهو ليعذّبنّ يدلّ عليه ألم تر؛ إلى قوله: فصبّ عليهم ربّك صوط عذاب"[5]، وقد حذف الجواب " ليذهب السّامع كلّ مذهب إذ المقام مقام وعيد، ومثله قوله:" والشّمس وضحاها"، فجواب القسم محذوف تقديره، ليدمّر من الله عليهم أهل مكّة لتكذيبهم رسول الله كما دمدم على ثمود، وحذف الجواب للتّهويل والتّفخيم[6].

وقد تحذف **جملة القسم** مثل قوله تعالى: ﴿**لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ**﴾[7].

والتّقدير في هذه الآيات: قسم لترونّ الجحيم؛ ومن هذا المنطلق يقول الألوسي عن هذه الآية: "جواب قسم مضمر أكّد به الوعيد، وشدّد به التّهديد، وأوضح به ما أنذروه بعد إيهامه تفخيما".[8]

ومن حذف الجمل؛ حذف **جملة القول** وفيه توجيه العناية إلى المقول[9]، ومنه قوله تعالى: ﴿**جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤**﴾[10].

---

[1] سورة القيامة:1، 2.

[2] سورة القيامة:3.

[3] التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج29، ص:338.

[4] سورة الفجر:1، 2.

[5] الكشّاف، الزّمخشري، ج4، ص:747.

[6] الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:121.

[7] سورة التّكاثر:6.

[8] روح المعاني، الألوسي، ج30، ص:225

[9] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السلام أبو شادي، ص:127.

[10] سورة الرّعد: 23، 24.

والتّقدير: يقولون: سلام عليكم بما صبرتم، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ٩**﴾"[1]، فجملة "إنّما نطعمكم لوجه الله إلى آخرها؛ مقول قول محذوف وتقديره: يقولون لهم أي للّذين يطعمونهم"[2]

ومن حذف جملة الحال نأخذ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾ فحذفت جملة الحال، والتّقدير: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل وهما يقولان: ربّنا قبّل منّا...، وهذا الحذف يصوّر لنا المشهد بارزا، وكأنّك تراه الآن، وتشاهد إبراهيم وإسماعيل وهما يدعوان الله بهذا الدّعاء"[3]. وعليه، جاء الفعل "**يرفعُ**" مضارعا لتصوير الحدث حاليا ومستقبلا، فتستحضر الصّورة كأنّك تشاهدها، وبالتّالي فجملة "ربّنا تقبّل منّا" جملة اسميّة في محلّ نصب مقول القول، أي؛ وهما يقولان: ربّنا تقبّل منّا. وفي نفس الصّدد، نجد الحذف في جملة الحال؛ ومنه قول **أبي الطّيّب المتنبّي**:

أَتَى الزَّمَانَ بَنُوهُ فِي شَبِيبَتِهِ فَسرَّهُم وأَتَينَاهُ عَلَى الهَرَمِ[4].

يقصد بقوله: وأتيناه على الهرم **فساءنا**، حذفت كلمة فساءنا المتكوّنة من فعل وفاعل ومفعول به؛ الفاء: حرف عطف، ساءَ: فعل ماض مبني على الفتح، والفاعل مستتر تقديره "هو"، نا: ضمير متّصل في محلّ نصب مفعول به.

والحذف في هذا البيت " ينبئ بما في نفس الشّاعر من ضيق وألم، لإدبار الدّهر عنه وعدم تحقيق ما يصبو إليه من مجد وأمال"[5]، وهذا إعجاز فنّيّ بارز يكمن في طيّ جملة الحال.

---

[1] سورة الإنسان: 8، 9.

[2] التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج29، ص:385.

[3] التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، سيّد قطب، ص:59.

[4] اللاّمع العزيزي شرح ديوان المتنبي، محمد سعيد المولودي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 2008م، ص: 1350.

[5] علم المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص: 503.

4- حذف التّراكيب:

والتّركيب ليس جملة واحدة مخصـــوصـــة، بل قد تكون مجموعة من الجمل يدلّ على حذفها سياق الكلام؛ وهو أيضا كثير في القرآن الكريم؛ وأكثر ما يرد في القصص أو السّرد.

والقرآن الكريم لا يورد من الأحداث إلّا ما يخدم الغرض المراد، ويتجاوز بذلك بعض التّفاصيل الّتي يغني عنها السّـــياق ويدلّ عليها، وفي ذلك الاختصـــار والإيجاز والتّخفيف ممّا لا يخدم الغرض الدّينيّ، ومنه قوله تعالى:﴿**ٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمۡ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ وَمَا شَـــهِدۡنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمۡنَا وَمَا كُنَّا لِلۡغَيۡبِ حَٰفِظِينَ٨١ وَسۡـــَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ٨٢ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ**﴾[1]، والتّقدير: فرجعوا إلى أبيهم وأبلغوه بما قال أخوهم، فلمّا سمعه قال: بل سوّلت لكم أنفسكم أمرا[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿**قَالُواْ لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ**ـــ**قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ**﴾[3]، والتّقدير: فلمّا رجع إليهم ورآهم على ضلالتهم قال: يا هارون[4].

الإيجاز كظاهرة لغويّة شـــائعة في اللّغة العربيّة بكثرة، لأنّها لغة القرآن الّذي يتّســـم بالإعجاز والوضـــوح والبيان، فنجد معظم أقوالهم وجيزة يغلوها الحذف بغرض إيصـــال المعنى الوفير بألفاظ قليلة، وهذا يزيد الكلام بلاغة وفصـــاحة، ويغني عن التّكرار والإطالة فيه؛ فنجد الحذف في الحرف والمفردة والجملة.

وكان هذا مجال اهتمام كلّ من علماء البلاغة والنّحو وحتّى التّفسير؛ إذ حاولوا ضبط كلّ أنواع المحذوفات؛ كما أنّ للحذف أدلّة تدلّ على المحذوف وتقدّره.

---

[1] سورة يوسف: 81-83.

[2] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، ص:148.

[3] سورة طه: 91-92.

[4] ينظر: المرجع السّابق، ص:148.

ولذلك كثيرا ما يتعلّق الإيجاز بأغراض بلاغيّة ومكامن فنّيّة وجماليّة؛ تزيد النّصّ حلاوة وطلاوة، وتؤثّر على نفسيّة المتلقّي بدرجات متفاوتة، وهذا ما سنتطرق اليه في الفصل الثاني.

الفصل الثّاني:

الأثر الفنّي والجمالي في القرآن الكريم

-دراسة تطبيقيّة-

المبحث الأوّل: النّظم القرآني في سورة يوسف.

المبحث الثّاني: ظلال الإيجاز الدّلاليّة والجماليّة.

المبحث الأوّل: النّظم القرآني في سورة يوسف.

تمهيد:

إنّ أزليّة الإعجاز القرآني وسرمديّة فيضه الدّلالي والجمالي عبر الأزمان والظّهور، مستمرّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، كلّ ذلك يتطلّب فهما دقيقا وإدراكا حيّا؛ متجدّدا لأسرار ولطائف ودلالات هذا النّصّ الخالد.

وجماليّة الأسلوب القرآني في بعض جوانبه إنّما تجتنى من صور شتّى، جاءت على وفقها النّصوص الكريمة؛ وكان من ضمنها الإيجاز الّذي ورد بكثرة في القرآن الكريم.

فالجمال القرآني متكامل من حيث الانسجام بين الشّكل والمضمون فيه، فهو لا يقدّم شكلا فارغا؛ بل إنّ ما فيه مسخّر في نهاية الأمر لرفع مستوى الوعي الجمالي، وما الإعجاز البياني إلّا الشّكل الرّاقي لدعوة البشر إلى الحقّ. ويمكننا أن نقول أنّ الجميل في القرآن هو كلّ ما ترتاح إليه النّفس بعد مروره بالحواس، بالإضافة إلى جمال الأفكار والمشاعر الّذي ينسكب في الباطن ويحدث لذّة جماليّة معنويّة وفق طبيعة النّفس الإنسانيّة كما فطرها الخالق عزّ وجلّ[1].

1–التّعريف بسورة يوسف:

سورة يوسف؛ سورة مكّيّة، نزلت قبل هجرة الرّسول ﷺ، وجاء أيضا أنّها نزلت في عام الحزن؛ الّذي توفيت فيه خديجة رضي الله عنها، وتوفي فيه عمّ النّبيّ الّذي كان يحامي عنه؛ فسمّي ذلك العام بعام الحزن، فنزلت السّورة بلسما شافيا وتطمينا وتأنيسا للرّسول ﷺ، وتذكيره بالأنبياء السّابقين وما نزل بهم من البلاء والمحن[2].

[1] ينظر: جماليّة المفردة القرآنية، نور الدّين عتر، دار المكتبي، ط2، 1419هـ، 1999م، دمشق سوريا، ص: 19.

[2] ينظر: عبر ودلالات من سورة يوسف، عبد الله بن علي بصفر، دار النّور للمكتبات، ط1، 1426هـ، 2005م، جدّة السّعوديّة، ص:07.

ولذلك عطاء بن رباح يقول: ما استمع أحد إلى سورة يوسف؛ إلّا استراح وخرج ما به من همّ وغمّ[1]. فهي مؤنسة لمن كان في كرب فقرأها فرّج الله عنه كربه، ونفّس عنه ذلك الهمّ، وصرف عنه ذلك الغمّ وعلم وتيقّن أنّ بعد العسر يسرا، وأنّ الفرج مع الصّبر، والنّصر مع الصّبر[2].

يقول الفيروز أبادي:" إنّ السّورة مكيّة بالاتّفاق، وعدد آياتها مائة وإحدى عشرة بلا خلاف، وكلماتها ألف وسبعمائة وستّ وسبعون، وحروفها سبعة آلاف ومائة وستّ وستّون، وما فيها آية مختلف فيها[3].

سمّيت سورة يوسف على النّبيّ يوسف، ووجه تسميتها ظاهر لأنّها قصت قصّته كاملة، ولم تذكر في غيرها من السّور، ولم يذكر اسمه في غيرها من السّور إلّا في سورتي الأنعام وغافر[4].

1–1 من مقاصد هذه السّورة:

روى الواحدي والطّبري يزيد أحدهما على الآخر عن سعد بن أبي وقّاص أنّه قال: أنزل القرآن فتلاه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه زمانا، فقالوا" أيّ المسلمون بمكّة" يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل الله﴿**الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ٣**﴾[5]فأهمّ أغراضها؛ بيان قصّة يوسف– عليه السّلام– مع إخوته وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة[6]، وفيها إثبات أنّ بعض الرّؤى قد يكون إنباء نغيّب؛ وأنّ تعبير الرّؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحي عباده، وتحاسد القرابة ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، والعبرة بحسن العواقب والوفاء، والأمانة والصّدق والتوبة[7].

---

[1] ينظر: عبر ودلالات من سورة يوسف، عبد الله بن علي بصفر، ص:08.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 09.

[3] ينظر: بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، تح: محمد علي نجّار، ط3، القاهرة، مصر، 1996م، ج1، ص:255.

[4] ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، محمّد الطّاهر بن عاشور، ج12، ص:197.

[5] سورة يوسف:1، 2، 3.

[6] ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، طاهر بن عاشور، ج12، ص: 198.

[7] ينظر: سورة يوسف دراسة تحليليّة، أحمد نوفل، دار الفرقان، ط1، الأردن، 1989م، ص:28.

وهي مكيّة على القول الّذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره، وقد قيل أنّ الآيات الثّلاث منها في أوّلها مدنيّة، يقول السّيوطي في الاتقان:" استثني منها الثّلاث آيات من أوّلها حكاه أبو حيّان، وهو واه جدّا لا يلتفت إليه."[1]

1–2 أسباب النّزول:

يروى أنّ اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن قصّة يوسف فنزلت السّورة بسبب ذلك، ويروى أن اليهود أمروا كفار مكّة أن يسألوا رسول الله عن السّبب الّذي أخلّ بني إسرائيل بمصر، فنزلت السّورة؛ وسورة يوسف لم يتكرّر من معناها شيء في القرآن الكريم كما تكرّرت قصص الأنبياء[2].

وهناك عدّة روايات وردت عن أسباب نزولها، فقد أورد الزّمخشري أنّ علماء اليهود قالوا للكبراء المشركين: سلوا محمّد لم انتقل آل يعقوب من الشّام إلى مصر، وعن قصّة يوسف[3].

وقيل أنّه طلب إلى الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أن يقصّ فنزلت[4]. وقيل إنّ السّورة نزلت تسلية للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، في ظرف عصيب عانى فيه الشّدائد إذ توفي سنداه: زوجته خديجة، وعمه أبو طالب فكان عام الحزن وكابد في ذات الوقت تكذيب قريش له، وإلحاق الأذى به وبأصحابه فكانت هذه السّورة إيذانا لمحمّد بالفرج بعد الصّبر على الشّدّة، من خلال دروسها وعبرها[5].

وقيل أنّ جماعة من اليهود وجّهوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من أهل المدينة من يسأله عن رجل من الأنبياء، كان بالشّام أخرج ابنه إلى مصر فبكى عليه حتّى عمي، ولم يكن بمكّة أحد من أهل الكتاب، ولا من يعرف خبر الأنبياء، فأنزل الله سورة يوسف جملة واحدة كما في التوراة[6].

وهي السّورة الوحيدة الّتي سبقت بوصف أحسن القصص وهي كذلك طريفة في المضمون والأحداث، من الرّؤى إلى الإلقاء في البئر؛ إلى البيع في مصر، إلى المراودة، إلى السّجن ثمّ ملكا وغيرها من الأحداث، ممّا تفرّدت به السّورة الكريمة والقصّة العظيمة[7].

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، ط1، 2008م، ص:43.

[2] ينظر: ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار ابن حزم، ص:977.

[3] ينظر: الكشّاف، الزّمخشري، ج2، ص:300.

[4] ينظر: صفوة التّفاسير، محمّد علي الصّابوني، قصر الكتاب، شركة الشّهاب، الجزائر، ج2، دط، د.ت، ص:141.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص: 39.

[6] ينظر: أسئلة بيانيّة في القرآن الكريم، فاضل صالح السّامرّائي، ط1، مكتبة الصّحابة، الشّارقة، الإمارات، 2008م، ص:97.

[7] ينظر: سورة يوسف دراسة تحليليّة، أحمد نوفل، ص: 12.

"طالما هزّت هذه السّورة المشاعر والعواطف وحركت الضّمائر، وهي تحول بنا في عالم الحياة الإنسانيّة بحوادثها ووقائعها ومشاعرها"[1]

ولعلّ من أهمّ ما يشار إليه من الإعجاز الأدبي في قصّة يوسف كما وردت في القرآن الكريم أنّها تقوم على هذه الرّؤيا الّتي رآها غلام في نحو الثّالثة عشر من عمره، وأنّ الوقائع جاءت بعد ذلك لتفسير هذه الرّؤيا، فكان للسّورة جناحان (الرّؤيا ثمّ تفسيرها)[2]، والسّورة الكريمة أسلوب فذّ فريد في ألفاظها، وتعبيرها وأدائها، وفي قصصها الممتع اللّطيف، تسري مع النّفس سريان الدّم في العروق، فهي وإن كانت من السّور المكّيّة الّتي تحمل في الغالب طالع الإنذار والتّهديد؛ إلّا أنّها اختلفت عنها في هذا الميدان؛ فجاءت طريّة نديّة، في أسلوب ممتع لطيف[3]،ولهذا قال خالد بن سعدان" سورة يوسف ومريم ممّا يتفكّه بهما أهل الجنّة في الجنّة"[4]، وقال عطاء:" لا يسمع سورة يوسف محزون إلّا استراح إليها"[5]

أمّا عن الحكمة من عدم تكرار قصّة يوسف، أو الحكمة في كونها مجتمعة غير موزّعة فنقول: قصّة يوسف،" أنموذج الرّواية التّامّة الحلقات المتسلسلة السّرد، المصورة للحوادث والأشخاص"[6]، قال صاحب الظّلال: "بدأت القصّة وانتهت في سورة واحدة، لأنّ طبيعتها تستلزم هذا اللّون من الأداء، فهي رؤيا تحقّق رويدا رويدا، فلا تتمّ العبرة بها، كما لا يتمّ التّنسيق الفنّي فيها، إلّا بأن يتابع السّياق خطوات القصّة ومراحلها حتّى نهايتها[7].

سورة يوسف هي استثناء لباقي سور القرآن الكريم، لأنّه عادة ما تكرّر القصص في القرآن عبر سور مختلفة؛ إلّا قصّة يوسف وقعت جملة واحدة في سورة متفرّدة.

[1] سورة يوسف دراسة تحليلية، أحمد نوفل، ص: 13.

[2] ينظر: الإعجاز التّاريخي والأدبي والتّربوي، عبد الحليم عويس، ص:21، 22.

[3] ينظر: سورة يوسف دراسة تحليليّة، أحمد نوفل، ص: 13.

[4] تفسير البغوي (معالم التّنزيل)، أبو محمّد الحسين البغوي، دار طيبة، الرّياض، ص:212.

[5] المرجع السّابق، ص:13.

[6] المرجع نفسه، ص: 15.

[7] تفسير البغوي (معالم التنزيل)، أبو محمد الحسين البغوي، ص: 16.

يقول العلّامة القرطبي:" ذكر الله أقاصيص الأنبياء في القرآن وكرّرها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، وبألفاظ متباينة على درجات البلاغة والبيان، وذكر قصّة يوسف عليه السّلام ولم يكرّرها، فلم يقدر مخالف على معارضة المكرّر، ولا على معارضة غير المكرّر، والإعجاز واضح لمن تأمّل"[1].

2– الخصائص الفنّيّة واللّغويّة في سورة يوسف عليه السّلام:

سورة يوسف من أجمل القصص في القرآن الكريم، لما تحتويه من خصائص مميّزة نذكر منها ما يلي:

أ– التّماسك بين اسم السّورة والسّورة كلّها:

الموضوع الرّئيسي الّذي تعالجه سورة يوسف يتمثّل في كونها تقصّ قصّته عليه السّلام مع أبيه وإخوته والجبّ والرّقّ والبيع والرّغد في العيش وامرأة العزيز والسّجن والتّمكين في الأرض، وهذا استغرق آيات السّورة كلّها؛ إذ الآيات من 1إلى 3 تمثّل المقدّمة الطّبيعيّة للسّورة، وكذلك تتماسك خاتمة السّورة مع مقدّمتها في التّعليق على هذه القصّة، ثمّ الآيات من الآية 4 إلى الآية101 تعرض لتفاصيل هذه القصّة المتكاملة العناصر[2].

ب– تنوّع أساليب العرض:

أن تبدأ القصّة بملخّص تجمل فيه، ثمّ تعرض بتفصيلاتها من بدايتها إلى نهايتها، ويتمثّل هذا النّوع من الأسلوب في قصّة يوسف عليه السّلام[3].كما اعتمدت السّورة على أسلوب العرض التّفصيلي، فانظر مثلا إلى قوله عزّ وجلّ على لسان يوسف عليه السّلام؛ وهو يقصّ رؤياه على أبيه﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ٤**﴾[4]، ومن هنا تبدأ القصّة ويليها بعدئذ عرض مفصّل لأهمّ أحداث هذا الحلم وأهمّ نتائجه[5].

---

[1] تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ج3، ص:4.

[2] ينظر: علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق، دراسة تطبيقيّة على السّور المكّيّة، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ج2، ط1، 2000، ص:117، 118.

[3] ينظر: الحبك المكاني في السّياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، أمنة عشاب، رسالة ماجستير، 2006، 2007، ص:39.

[4] سورة يوسف:4.

[5] ينظر: الأبنية الصّرفيّة ودلالتها في سورة يوسف عليه السّلام، بن ميسية رفيقة، رسالة ماجستير، ص:25.

ت– تحقيق الجانب الواقعي في السّورة:

وتتعامل القصّة مع النّفس البشريّة في واقعيّتها الكاملة؛ متمثّلة في نماذج متنوّعة: نموذج يعقوب الوالد المحبّ الملهوف، والنّبي المطمئن الموصول، ونموذج إخوة يوسف وهواتف الغيرة والحسد، والحقد والمؤامرة والمناورة، ومواجهة آثار الجريمة، والضّعف والحيرة أمام هذه المواجهة، ونموذج امرأة العزيز بكلّ غرائزها ورغباتها، وانفعالاتها الأنثويّة، ونموذج النّسوة عن امرأة العزيز وفتاها، ونموذج العزيز وعليه ظلال طبقته وبيئته في مواجهة جرائم الشّرف من خلال مجتمعه، ونموذج الملك في خطفة يتوارى بعدها كما توارى العزيز في منطقة الظّلال بعيدا عن منطقة الأضواء في مجال العرض المتناسق[1].

ث– عرض الشّخصيّة الرّئيسيّة:

إنّ القصّة تعرض شخصيّة يوسف عليه السّلام، وهي –الشّخصيّة الرّئيسيّة في القصّة– عرضا كاملا في كلّ مجالات حياتها بكلّ جوانب هذه الحياة، وبكلّ استجابات هذه الشّخصيّة في هذه الجوانب وفي تلك المجالات، وتعرض أنواع الابتلاءات الّتي تعرّضت لها تلك الشّخصيّة الرّئيسيّة في القصّة، وهي ابتلاءات متنوّعة في طبيعتها وفي اتّجاهاتها، ابتلاءات الشّدّة والرّخاء، وابتلاءات الفتنة بالشّهوة، والفتنة بالسّلطان...ويخرج العبد الصّالح من هذه الابتلاءات والفتن كلّها نقيّا خالصا متجرّدا في وقفته الأخيرة[2].

ج– عرض الشّخصيّات الثّانويّة: إلى جانب عرض الشّخصيّة الرّئيسيّة في القصّة؛ تعرض الشّخصيّات المحيطة بدرجات متفاوتة من التّركيز وفي مساحات متناسبة من رقعة العرض، وعلى أبعاد متفاوتة من مركز الرّؤية، وفي أوضاع خاصّة من الأضواء والظّلال.

ح– التّصوير:

وهو أحد المظاهر الفوتوغرافيّة الّتي كان لها الدّور الفعّال في رسم أحداث ومشاهد القصّة وشخصيّاتها، إنّه من خلال قراءة أو سماع هذه السّورة يحسّ السّامع بحسّ القارئ وكأنّه أمام مسرحيّة سينمائيّة أو فيلم تلفزيونيّ يمثّل أمامه تتحرّك أحداثه وتتفاعل شخصيّاته، وسرعان ما تبدو وكأنّها حاضرة في ذهنه فتتولّد له المعاشرة الرّوحيّة[3]لهذه الشّخصيّات؛ فيأخذ هو الآخر دور المتعاطف، ودور الحاقد

[1] في ظلال القرآن، سيّد قطب، دار الشّروق، ج1، ط4، 1972م، ص:1952.

[2] ينظر: في ظلال القرآن، سيّد قطب، ص:1952،1951.

[3] ينظر: الأبنية الصّرفيّة ودلالتها في سورة يوسف عليه السّلام، بن ميسة رفيقة، ص:31.

والمتسلّط والمؤنّب" هو تصوير باللّون وتصوير بالحركة، وتصوير بالتّخييل، كما أنّه تصوير بالقصّة تقوم مقام اللّون في التّمثيل"[1].

خ– الحذف:

تنوّع أسلوب الحذف في سورة يوسف عليه السّلام، فنرى حذف الحرف، والمسند والمسند إليه، وحذف المتعلقات والجمل، وقد تناول البلغاء أسلوب الحذف بأنواعه، وما يخرج إليه من أغراض بلاغيّة، ومن أمثلة ذلك: حذف حرف النّداء(الياء) في نداء يوسف عليه السّلام في قوله:﴿**يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ**﴾[2]، وتقديره: يا يوسف، ووراء هذا الحذف تكمن معاني التّقريب والتّلطيف ليوسف، فقد ثبتت براءته، كما أنّ ملاحظة يوسف وراءها مقصد أسلوبيّ آخر مركوز في أحشاء العزيز، وكأنّه يهمس في أذن يوسف بأنّ ما حدث يجب أن يضمر في السّرائر، فلا يجري به لسان؛ فالمقام يدلّ على رغبة العزيز في إنهاء الكلام وعدم التّطويل فيه[3].

2– الظّواهر الأسلوبيّة في سورة يوسف عليه السّلام:

2–1 **الالتفات:** يعدّ الالتفات أسلوبا بلاغيّا من أساليب التّعبير البيانيّة؛ الّتي تميّز بها القرآن الكريم؛ والّتي لا تكاد تخلو منه سورة من سوره، لا سيما أساليب القول وطرقه. إذ ينتقل الكلام من التّكلّم إلى الخطاب والغيبة؛ ومن الخطاب إلى التّكلّم والغيبة؛ ومن الغيبة إلى التّكلّم والخطاب، فهذه تقسيمات ينتج عنها أساليب بلاغيّة تمثّل أبرز أساليب الالتفات عند جمهور البلاغيّين[4]

وممّا جاء من الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في السّورة قوله تعالى:﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ**﴾[5]، والالتفات هنا في قوله: (أفلا تعقلون)؛ وذلك بعد الغيبة في قوله تعالى: (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا)، وكان مقتضى السّياق– أفلا يعقلون– تماشيا مع سابقيه ولكن وجود هذا الخطاب أحدث هزّة نفسيّة للمؤمنين الواقفين على الآية زمن النّبيّ ﷺ، وإلى أن

---

[1] التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، سيّد قطب، دار الشّروق، ط13، 1993م، ص:37.

[2] سورة يوسف:29.

[3] النّظم القرآني في سورة يوسف عليه السّلام، جمال رفيق يوسف الحاج علي، رسالة ماجستير، فلسطين، 2000م، ص: 79.

[4] ينظر: الالتفات في البلاغة العربيّة ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، قحطان طاهر عبد الرّحمان، مجلّة الدّراسات الاجتماعيّة، 2005م، مج:10، العدد:19، ص:30.

[5] سورة يوسف:109.

تقوم السّاعة، فالخطاب هو الأدعى لأسلوب الدّعوة إلى الله والتّحذير ممّا وقع فيه أولئك الأقوام؛ فيصيبهم ما أصابهم[1].

2–2 الالتفات من التّكلّم إلى الغيبة في السّورة:

وجاء في سورة يوسف عليه السّلام قوله تعالى:﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي ٱشۡتَرَىٰهُ مِن مِّصۡرَ لِٱمۡرَأَتِهِۦٓ أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾[2]، والالتفات في قوله تعالى: (والله غالب على أمره)، بصيغة الغيبة عن الله عزّ وجلّ، وهذه الغيبة بعد أسلوب التّكلّم في قوله تعالى: (وكذلك مكّنّا ليوسف في الأرض)، وكان حقّ الصّياغة مسايرة الأسلوب نفسه بقوله– وإنّا غالبون– أو نحو ذلك، ولكن أين هذا من قوله تعالى: (والله غالب على أمره)، فهو سبحانه مستول على أمر يوسف يدبّره ويحوطه[3].

لا يمنع عمّا يشاء ولا ينازع فيما يريد؛ بل إنّما أمره لشيء إذا أراد أن يقول له كن فيكون[4]. وعليه، فانتظام أمر يوسف عليه السّلام كان إلاهيّاً، وما كان بسعيه وإخوته أرادوا به كلّ سوء ومكروه، والله أراد به الخير فكان كما أراد الله تعالى ودبّر[5]، وأي ضمير يفي هذه المعاني حقّها غير لفظ الجلالة الجامع لأسمائه تعالى وصفاته، ولهذا كان الالتفات إلى الغيبة لظهور هذا الاسم الجليل ليعظم ما عظم، ويوضح ما وضح ويزيد المقام مهابة وتقديرا لما في هذا اللّفظ الشّريف من قوّة في اللّفظ بجانب قوّة المعنى[6].

---

[1] ينظر: تفسير البحر المحيط، الزّركشي، مج:5، ص: 254.

[2] سورة يوسف: 21.

[3] ينظر: جامع البيان، الطّبري، ج12، ص:105.

[4] ينظر: روح المعاني، الألوسي، ج12، ص:208.

[5] ينظر: مفاتيح الغيب، محمّد الرّازي فخر الدّين، ج18، ص:110.

[6] الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة محمّد أحمد البناني، رسالة ماجستير، 1413هـ–1414هـ، المملكة العربيّة السّعوديّة، ص: 130.

2–3 الالتفات من الغيبة إلى التّكلّم في السّورة:

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾[1]، وفي هذا الموضع، نجد الالتفات في قوله تعالى:" لما علمناه"، في ضمير التّكلّم؛ وذلك بعد قوله تعالى:" ما كان يغني عنهم من الله من شيء"، بضمير الغيبة في لفظ الجلالة.

وكان مقتضى السّياق أن تأتي الآية كالتّالي– لما علمه الله– جريا على منهاج سابقه ولكنّه أثر سبحانه وتعالى ضمير التّكلّم في(علمناه) لحكمة قال فيها الثّعالبي: مدح الله تعالى يعقوب عليه السّلام في كتابه فقال:" وإنّه لذو علم لما علّمناه ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون"، لأنّه عمل الأسباب واجتهد في توفيتها وهو مقتضى الحكمة ثمّ ردّ الأمر كلّه لله تعالى، واستسلم إليه وهو حقيقة التّوحيد فقال:" وما أغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلّا لله"، فأثنى الله تعالى عليه من أجل جمعه بين هاتين الحالتين العظيمتين[2].

ويكفي أن يكون المقام مقام تعظيم؛ وقد أسند هذا العلم لله سبحانه وتعالى بهذا الضّمير الّذي يدلّ على التّعظيم[3].

2–4 الحذف:

مثّل الحذف في سورة يوسف عليه السّلام ملمحا تركيبيّا خاصّا أحال إلى دفقات بلاغيّة ودلاليّة وجماليّة، ومن أمثلة ذلك: حذف الحرف وحذف الكلمة.

2–4–1 حذف الحرف: ومن أمثلة حذف الحرف في السّورة قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ**﴾[4]، فالشّاهد في

---

[1] سورة يوسف:68.

[2] ينظر: جواهر الحسان في تفسير القرآن، الثّعالبي، ج2، ص:247.

[3] ينظر: محاسن التّأويل، القاسمي، ج9، ص:201.

[4] سورة يوسف:33.

الآية الكريمة حذف حرف النّداء في نداء الربّ عزّ وجلّ، الّذي يوحي بالقرب الشّعوري بين يوسف وربّه، فهو أقرب إليه من حبل الوريد[1]. وعليه فإنّ" حكمة ذلك دلالته على التّعظيم والتّنزيه، لأنّ النّداء يتشرّب معنى الأمر، لأنّك إذا قلت: (يا زيد) فمعناه: أدعوك يا زيد؛ وهنا حذفت (يا) من نداء الرّبّ ليزول معنى الأمر، ويتمخّض التّعظيم والاجلال، وحذف الياء في لفظ (ربّ) للتّخفيف، والتّلهّف على تحقيق المدعو به، ويتوفّر العناية إلى ما بعده"[2].

2–4–2 حذف الكلمة: ومن أمثلة ذلك في حذف كلمة واحدة نجد قوله تعالى:﴿**وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[3]، قال ابن عطيّة: "رفع إمّا حذف المبتدأ فالتّقدير: فشاني صبر جميل، وإمّا حذف الخبر والتّقدير: فصبر جميل أمثل"[4].

ويقول الزّجّاج: مرفوع على ضربين:

1- فشأني صبر جميل.

2- فصبري صبر جميل، وهذا لفظ قطرب: فصبر يصير جميل، والأوّل مذهب الخليل وجميع أصحابه[5].

ويقول الزّمخشري:" يحتمل في هذا الشّاهد أن يكون المحذوف هو المبتدأ فيكون التّقدير: (فأمري أو فعلي أو أمركم أو الّذي يطلب منكم) صبر جميل، ويحتمل أن يكون المحذوف هو الخبر فيكون التّقدير: فصبر جميل (أجمل أو أمثل بالمعنى السّابق وأولى أو أليق أو أمثل من الجذع أو خير منه)، والغرض من الحذف هنا هو تكثير الفائدة لتعدّد أوجه التّقدير بعد الحذف"[6].

---

[1] ينظر: النّظم القرآني في سورة يوسف عليه السّلام، جمال رفيق يوسف الحاج، ص:78، 79.

[2] البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ص:213.

[3] سورة يوسف:18.

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، ج3، 2001م، ص:227.

[5] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزجّاج، عالم الكتب، بيروت، ط1، ج3، 1988م، ص:96.

[6] المفصّل، الزّمخشري، ص:26.

2–5 التّقديم والتّأخير:

شكّل التّقديم والتّأخير في سورة يوسف عليه السّلام ظاهرة أسلوبيّة لفتت نظر الدّارس إليها، وحثته على سبر أغوارها، وقد حقّقت هذه الظّاهرة معاني ثانية باعتبار قراءتها اللّغويّة[1].

ومن ذلك أيضا، تأخير الشّمس والقمر على الكواكب في قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ**﴾[2]، الشّمس والقمر ليستا مندرجتين في الأحد عشر كوكبا" فإنّ تأخيرهما إثباتا لفضلهما واستبدالهما بالميزة على غيرهما من الكواكب"[3].

ويرى أبو حيّان أنّ "اجتماع الشّمس والقمر في القرآن الكريم؛ وتقديم الشّمس على القمر لسطوع نورها وكبر جرمها، وغرابة سيرها واستمداده منها، وعلوّ مكانها"[4].

ومنه تقديم الجار والمجرور(لي) حيث تقدّم في هذه الآية الجار والمجرور (لي) لتخصيص المقدّم؛ وهو يوسف عليه السّلام، وهو المعني بالرّؤيا، والمعني أنّ الكواكب الأحد عشر والشّمس والقمر سجدت ليوسف عليه السّلام دون سواه، كما نلمس في هذا التّقديم جمالية فنّيّة تتجلّى في المحافظة على نهاية الفاصلة القرآنيّة" المختومة بصوت النّون.

وتقديم المجرور على عامله في قوله:(ساجدين) للاهتمام، وعبّر به عن معنى تضمّنه كلام يوسف عليه السّلام بلغته؛ يدلّ على حالة في الكواكب من التّعظيم له تقتضي الاهتمام بذكره، فأفاده تقديم المجرور في اللّغة العربيّة[5].

---

[1] ينظر: النّظم القرآني في سورة يوسف، جمال رفيق يوسف الحاج، ص:66.

[2] سورة يوسف:4.

[3] دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، منير محمود الميسري، مكتبة وهبة، ط1، 2005م، ص:430.

[4] البحر المحيط، أبو حيّان، ج5، ص:281.

[5] ينظر: تفسير التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ص:208.

قال تعالى﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ** ﴾[1]. تقديم الضّمير على الخبر الفعلي يفيد الاختصاص، أي نحن نقصّ لا غيرنا، ردّا على من يطعن من المشركين في القرآن بقولهم" إنّما يعلمه بشر"[2].

[1] سورة يوسف:03.

[2] تفسير التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ص:203.

المبحث الثّاني: ظلال الإيجاز الدّلاليّة والجماليّة في سورة يوسف.

1– إيجاز الحذف:

الحذف نجده في قول إمام البلاغة وشيخها عبد القاهر الجرجاني:" هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر، فإنّك ترى به ترك الذّكر أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد للإفادة؛ وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تبن"[1]، وبهذا يكون الجرجاني أوّل من فطن إلى مزاياه ونبّه إلى أسراره؛ حتّى أفرد له اثنين وعشرين في كتابه (دلائل الإعجاز)، والحذف على وجوه، فقد يكون المحذوف جملة، وقد يكون تركيبا، وقد يحذف ما ليس بجملة ولا تركيب[2].

1–1 حذف الحرف: سنحاول أن نحدّد الحرف المحذوف في البعض من آيات سورة يوسف، وذلك اعتمادا على كتب التّفسير وما يتعلّق بها، ثمّ نبيّنه أو نقدّره مع دراسته جماليّا ودلاليّا.

– ومن أمثلة حذف الحرف قول الله تعالى: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾[3]. وعن هذه الآية الكريمة يقول ابن عطيّة أنّ أرضا مفعول ثان بإسقاط حرف الجرّ (في) لأنّ الفعل طَرَحَ لا يتعدّى إلى مفعولين إلّا كذلك، وليس أرضا مبهمة حتّى تعرب ظرفا، كما زعمت فرقة فقد قيدت بأنّها أرض بعيدة قاصية[4].

– أمّا أبو جعفر النّحّاس فيقول في كتابه معاني القرآن أنّ الآية" فيها حذف؛ والمعنى أو اطرحوه أرضا يبعد فيها عن أبيكم، ودلّ على هذا الحذف قوله تعالى:(يخل لكم وجه أبيكم)؛ أي يفرغ لكم، وقوله:(وتكونوا من بعده)؛ أي من بعد إهلاكه (قوما صالحين)؛ أي تائبين"[5].

---

[1] دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ط6، 1380هـ، 1960م، ص:104.

[2] ينظر: الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبدالسّلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطّبع والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ص:16.

[3] سورة يوسف:9.

[4] ينظر: تفسير ابن عطيّة، دار الكتب العلميّة، ط1، 1422هـ، بيروت، ج3، ص: 222.

[5] معاني القرآن، أبو جعفر النّحّاس، تح: محمّد بن علي جيلاني، ط2، 2013م، المكتبة التّوقيفيّة، مصر، ج1، مج:1، ص:416.

وتماشيا مع ما تمّ ذكره، نرى الأخفش يقول في معاني القرآن:" أو اطرحوه أرضا وليس الأرض هاهنا بظرف وكن حذف منها (في)، ثمّ أعمل فيها الفعل كما تقول: توجهت مكّة"[1].

وهذا ما وافق عليه الزّجّاج فقال: (أرضا) منصوب على إسقاط (في)، وإفضاء الفعل إليها، لأنّ أرضا ليست من الظّروف المبهمة[2]. والغرض من هذا الحذف؛ هو شدّة وضوحه وجلائه، ولكونه متعيّنا فلا يحتمل غيره، والحذف من أجل هذا الغرض يضفي على الكلام جلالا وجمالا[3].

وما نراه هو اتّفاق ابن عطيّة والأخفش والزّجّاج؛ على أنّ الحرف المحذوف هو(في).

قال تعالى: ﴿**وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٖ وَأَلۡفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلۡبَابِۚ قَالَتۡ مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ**﴾[4]. وهنا نلاحظ أنّ الحذف وقع في جملة (واستبقا الباب) وتقدير ذلك: واستبقا إلى الباب، وعليه، المحذوف هنا هو حرف الجرّ (إلى).

وكان الغرض من هذا الحذف؛ هو التّعجيل في إيصال المعنى إلى المستقبل بأسرع طريق بسبب ضيق المقام؛ النّاشئ عن الحالة الّتي كان فيها سيّدنا يوسف وامرأة العزيز الّتي حاولت الإيقاع به.

كما يمكن أن يكون لهذا الحذف غرض آخر؛ وهو تصوير سرعة الحدث للإشارة إلى سرعة وقوع الفعل، فيأتي الحذف أفضل وسيلة للتّعبير عن هذا الهدف المراد[5].

ويفسّر أبو حيّان الأندلسي هذه الآية فيقول: واستبق يوسف وامرأة العزيز إلى الباب؛ هذا للخروج والهروب منها، وهذه لمنعه ومراودته؛ وأصل استبق أن يتعدّى، فحذف اتّساعا وفي الكلام حذف تقديره: قال العزيز: مالكما؟ فلمّا سأل وقد خافت لومه، بادرت أن جاءت بحيلة جمعت فيها بين تبرئة ساحتها من الرّيبة، وغضبها على يوسف وتخويفه طمعا في مواقعتها خيفة من مكرها[6].

---

[1] معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م، ج1، ص:396.

[2] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1980م، ج3، ص:93.

[3] ينظر: أسلوب الحذف في القرآن الكريم، مصطفى شاهر خلوف، ص:166.

[4] سورة يوسف:25.

[5] ينظر: المرجع السابق، ص: 186.

[6] ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ص:296.

ولم تصرّح باسم يوسف، بل أتت بلفظ عامّ؛ وهو قولها:﴿**قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا**﴾[1]، وهذا أبلغ في التّخويف، و(ما) الظّاهر أنّها النّافية، ويجوز أن تكون استفهاميّة[2]. وما نلاحظه في الآية الكريمة إيجاز الحذف، حذف حرف الجرّ (إلى)، وحذف كلام مقدّر دار بين عزيز مصر وامرأته ويوسف، وحذف مفردة؛ وهو اسم يوسف.

وهذا الحذف حقّق في الآية ما لا يمكن تحقيقه بذكر المحذوف، أو العودة بالمحذوف؛ والّذي سيفقد العبارة رونقها اللّفظي، ويعطيها طولا، كما يفقدها عمق الرّبط المعنوي والبحث في أسرار القصّة القائمة في أغلبها على المفاجآت.

قال الله تعالى: ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ**﴾[3]، وهنا الحذف وقع على حرف النّداء (يا) والتّقدير: (يا يوسف)، وفي هذا المقام صرّح العلماء على أنّ أداة النّداء إذا حذفت وجب أن يقدر المحذوف ياءً لأنّها أمّ الباب، وهذا باعتبار الحرف محذوفا بالقياس على موضع آخر مماثل ورد فيه دون حذف[4].

وكانت الغاية من هذا الإيجاز هو التّخفيف؛ وذلك لكثرة دورانه في الكلام.

أمّا في قوله تعالى:﴿**رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ**﴾[5]، فهنا حذف حرف النّداء (يا)؛ والتّقدير:(ياربّ)، فالمناجاة والابتهال من العناصر البارزة الّتي تحتلّ مكانة كبيرة في القصص القرآني، إذ أنّهم يبتهلون إليه ابتهالا مباشرا دون أن يتّخذ بينهم وبينه وساطة، لذلك نجد كلّ صورة من صور المناجاة مسبوقة بلفظة (ربّ) أو (ربّنا)؛ إذ حذف حرف النّداء لثقتهم بالله سبحانه وتعالى، وأنّه أقرب إليهم من كلّ شيء[6].

---

[1] سورة يوسف:25.

[2] ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي، ص:297.

[3] سورة يوسف:29.

[4] ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدّين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية، 1411هـ، ج1، ص:243.

[5] سورة يوسف: 101.

[6] ينظر: جمالية القصّة القرآنيّة، بان حميدان، مجلّة كلية الآداب، العدد: 101، جامعة بغداد، ص: 346.

والشّاهد في ما سبق قوله تعالى:﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1]

من الحذف ما يكون لجزء من كلمة وتقصد به الحركة أو الحرف، ولا يكون ذلك لعلّة تصريفيّة أو نحويّة؛ وإنّما لسرّ ونكتة بلاغيّة لطيفة، ليحقّق تناغما صوتيّا يكسب الكلام والنّصّ جمالا.

ومن الحذف حذف حرف(الياء) وهذا ما أشار إليه علماء اللّغة والنّحو، فلا يوجد سبب في قواعد النّحو للحذف، وقد أشار الأخفش إلى سبب الحذف" ومن العرب من يحذف هذه الياءات في الدّعاء وغيره من كلّ شيء، وذلك قبيح إلّا في رؤوس الآي؛ فإنّه يحذف في الوقف"[2]، فأداة النّداء (يا) تحذف في القرآن الكريم مع كلمة (ربّ) إلّا في موضعين؛ الآية 30 من سورة الفرقان، والآية 88 من سورة الزخرف، وقد اهتدى الدّكتور بدوي إلى تعليل مقبول لسرّ حذف أداة النّداء؛ إذ يرى أنّ سرّ الحذف فيه للمبالغة في تصوير قرب المنادى(ربّ) ومعناه أنّه حاضر لا يحتاج في ندائه إلى وسائط[3].

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ﴾[4]، وتقدير الحذف هنا هو: لا تفتأ لأنّه لو كان الجواب ... لدخلت اللّام[5]. إلّا أنّ الأخفش قال:" فزعموا أن تفتأ (تزال)، فلذلك وقعت عليه اليمين، كأنّهم قالوا: والله ما تزال تذكر يوسف[6]. أمّا الزّجّاج فقال: (لا مضمرة) والمعنى: والله تفتأ تذكر يوسف؛ أي لا تزال تذكر يوسف[7].

وهذا هو الموطن الوحيد في القرآن الّذي حذف فيه حرف النّفي جوابا للقسم، لأنّ الّذين أقسموا هم إخوة يوسف، ومن المقرّر في النّحو أن الذّكر يفيد التّوكيد والحذف أقلّ توكيدا؛ إذ أنّهم أقسموا أنّ

---

[1] سورة البقرة:186.

[2] معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تح: هدى محمود، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ، 1990م، ج1، ص:78.

[3] ينظر: جمالية الانزياح في القرآن الكريم، عبد القادر زيان، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، تلمسان، 2011-2012م، ص:82.

[4] سورة يوسف:85.

[5] ينظر: الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي، ص: 539.

[6] الحذف في الجملة العربيّة خلال سورة يوسف موسى صالح أبو بكر، ، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالميّة، ماليزيا، 1435هـ، 2014م، ص:37.

[7] ينظر: المرجع السّابق، ص:37.

أباهم لا يزال يذكر يوسف حتّى يهلك ولم يحصل ذلك. في حين أنّه في الأقسام الأخرى في القرآن الأمر فيها مؤكّد، إلّا في هذه الآية لم يتمّ التّأكيد بحذف حرف النّفي مع أنّه أفاد النّفي[1]، وهذا من إعجاز القرآن أنّنا لا نجده في مواطن أخرى.

ومن معاني "فتأ" في اللّغة؛ (نسي)، وسكن وأطفأ النّار، والإتيان بالفعل "فتأ" في هذه الآية، وفي الموضع جمع كلّ هذه المعاني؛ وذلك أنّ المفقود مع الأيّام ينسى ويكفّ ذكره، ولو اختار أي فعل من الأفعال المرادفة له، لم تعط كلّ هذه المعاني المخصّصة له[2]. وكلّ هذا له أثر بالغ على إخوة يوسف، إذ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فكان السّياق وهو يعبّر عن تلك الحالة النّفسيّة الدّقيقة متناسقا معها، يتضمّنه بما يشير إليه ذلك بأبلغ وأوجز إشارة[3].

2– الجمالية في المفردة المحذوفة:

حذف المفردة:

من شواهد حذف المفردة في سورة يوسف؛ اخترنا بعض النّماذج منها قوله تعالى:﴿**وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرًاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾[4] ، في الآية الكريمة إيجاز بالحذف وله تقديران: الأوّل(فأمري صبرٌ جميلٌ)، والفائدة المعنويّة المستفادة من وراء هذا الحذف هي:" تصوير حيرة يعقوب عليه السّلام وتسليمه الأمر لله سبحانه وتعال، وحزنه الشّديد لهذا الموقف"[5]، وبصفة سيّدنا يعقوب عليه السّلام نبي من أنبياء الله تعالى، فنلاحظ صبره على فقده ابنه؛ فهو رغم المصيبة كان كلامه موجزا وجميلا؛ فلم يقل إلّا ما هو خير.

أمّا عن التّقدير الثّاني:" فصبر جميل أولى بي وأجمل"[6]، فأسلوب الحذف له صلة بالمتلقّي لأنّه يقوم بتنشيط الذّهن خاصّة إذا كانت المعاني متغيّرة؛ فكلّما كان مجال مسار الذّهن أنشط ولطلب المزيد

---

[1] ينظر: أسرار البيان في التّعبير القرآني، فاضل صالح السّامرّائي، ج1، ص:453.

[2] ينظر: بلاغة الإيجاز في الشّعريّة العربيّة،ي وسف بديرة، ص:49.

[3] الإيجاز والإطناب في سورة يوسف عبد السلام، فريد مصطفى، ص:221.

[4] سورة يوسف:18.

[5] في البنية والدّلالة، سعد أبو رضا، ص: 119.

[6] المرجع نفسه، ص:119.

أسعى وعن الملل والسّآمة أبعد، وكلّما مرّ عليه ملأ جديد من المعاني اشتاق إلى غيرها وقال: هل من مزيد"[1].

قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾[2]، وفي هذه الآية الكريمة إيجاز بالحذف والتّقدير: والله لئن أكله؛ فالقسم محذوف، واللام مواطئة للقسم، وقوله: (إنّا إذا لخاسرون) جواب للقسم[3].

وعليه، فالحذف في التّعبير القرآني لا يكون إلّا لغرض بلاغي معيّن، وفي هذا الصّدد يقول عبد القاهر الجرجاني:"ما من اسم أو فعل تجده قد حذف ثمّ أصيب به موضعه، وحذف في الحال التي ينبغي أن يحذف فيها؛ إلّا وأنت تجد هناك أحسن من يذكره، وترى اضماره في النّفس أولى وآنس من النّطق به"[4]

فحذف القسم في الآية الكريمة كان لوضوحه وقرب العهد به في الكلام، فلا يحتاج للذّكر؛ كما أنّنا نحسّ بذلك التّناسق الموسيقي في قراءة الآية بالحذف وتفتقره بالذّكر، ولعلّ المتلقّي لهذا النّصّ القرآني يتشوّق لسماع الجواب أو ما بعد القسم، وبذكر القسم تفويت وإبطال لهذا الشّوق المتوقّد في ذهن المتلقّي نفسه[5].

يقول جلّ وعلا في الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾[6]، وهذه الآية تتمّة تأويل يوسف لرؤيا الملك وقوله (وفيه يعصرون)، المشهور بين المفسّرين أنّ المقصود به الخمر. روى حجّاج بن جريح قال: يعصرون العنب خمرا والسّمسم دهنا، والزّيتون زيتا، لذا تساءلنا هل يليق بنبيّ أن يبشّر قومه بعد وقوع جدب ومجاعة بعصر الخمور؟. ولعلّ الجواب الجاهز: أن يقال بأنّ

---

[1] أسلوب الحذف في القرآن الكريم مصطفى شاهر خلوف، ، ص:172، 171

[2] سورة يوسف:14.

[3] ينظر: الكشّاف عن حقائق وغوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، تح جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري،:عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، ج3، ص:260.

[4] دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، ص:117.

[5] ينظر: جمالية الانزياح في القرآن الكريم، عبد القادر بن زيان، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، تلمسان، 2011-2012م، ص: 86.

[6] سورة يوسف: 49.

الخمر كانت في شريعتهم حلالا، ومثل هذه الأمور لا تروق ليّا، ففطرة الله واحدة والمبدأ لا يتجزّأ والحلال هو الحلال في كلّ مكان وزمان.

وقيل (يعصرون) يستغلّون، وهو من عصر العنب، واعتصرت ماله أي؛ استخرجته من يده. وقرأ عيسى

(تُعصَرُون) بضمّ التّاء وفتح الصّاد ومعناه: تُمطَرون[1] من قوله تعالى:﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا**﴾[2].

فحذف المفردة واسع مجالها، وعلى قدر سعة محيطها اللّغوي تتّسع دلالتها، وتكثر أسرارها البيانيّة؛ فالحذف في هذه الآية الكريمة كان لحكمة بيانيّة؛ زادت التّركيب والمعنى جمالا وحسنا.

والحذف في الآية الكريمة كان له وقع في نفس المتلقّي، وأهميته تكمن في الفجوات الدّلاليّة الّتي أحدثها، حيث يترك المجال لمخيلة المتلقّي في ردمها بما يصلح لها من معان تتناسق مع المطلوب، وفي هذا الإجراء الأسلوبي ما يضع المفاجأة ويبعث على الاستقرار بالقدر الّذي يجعل محصّلة التّلقّي تختلف بين مستويات من العمق والسّطحيّة[3].

ويستطرد الزّركشي في ذكر فوائد الحذف؛ فمنها التّفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، لذهاب الذّهن في كلّ مذهب، وتشوّقه إلى ما هو المراد، فيرجع قاصرا عن إدراكه، فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النّفس مكانه، ألا ترى أنّ المحذوف إذا ظهر في اللّفظ نال ما كان يختلج في الوهم من المراد، وخلصوا للمذكور؟

ومنها زيادة لذّة بسبب استنباط الذّهن للمحذوف؛ وكلّما كان الشّعور بالمحذوف أعسر، كان الالتذاذ به أشدّ وأحسن، ومنها زيادة الأجر بسبب الاجتهاد في ذلك، بخلاف غير المحذوف[4].

---

[1] ينظر: التّفسير التّداولي للنّصّ القرآني، مجدي حسين، ص:287، 288.

[2] سورة. النبأ:14.

[3] ينظر: جمالية الانزياح في القرآن الكريم، عبد القادر بن زيان، ص: 22.

[4] ينظر: البرهان في علوم القرآن، الزّركشي، ج3، ص: 104، 105.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[1]، فالمحذوف هنا هو الفاعل، والتّقدير: (بدا بدو أو بدا رأي، وهذا ما أشار إليه ابن عطيّة ثمّ قال: ولا يجوز أن يكون الفاعل لـ (بدا) ليسجننّه؛ لأنّ الفاعل لا يكون جملة بوجه، هذا صريح مذهب سيبويه، وقيل: الفاعل (ليسجننّه) وهذا خطأ، وإنّما مفسّر للفاعل[2].

وقال الزّجّاج في قوله تعالى:(ثمّ بدا لهم)؛ بدا فعل استغنى عن فاعل[3]، وفيما نراه في هذا الحذف الّذي قدّره النّحويّون بحذف الفاعل، فهو للإيجاز والاختصار؛ ذلك أنّ الإيجاز فضلا عمّا فيه من تخفيف، فإنّه يكسب العبارة قوّة ويجنّبها ثقل الاستطالة.

قال الله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾[4]، فالحذف هنا في بداية الآية (وسئل القرية)؛ والتّقدير: (اسأل أهل القرية. وقد فسّر ابن جنّي كيف يفضي هذا الحذف إلى الاتّساع، لأنّه استعمل لفظ السّؤال مع ما لا يصحّ في الحقيقة سؤاله الأشخاص، وأدرج نوعا من التّوكيد. فكأنّ إخوة يوسف يريدون تثبيت قولهم بأن حتّى ولو سأل أبوهم الجماد؛ لأنبأه بصحّة قولهم[5].

والغرض من الحذف هو الإشارة إلى شيوع القول فيها، وأنّ القرية كلّها تكلّمت[6].

3– الجمالية في التّركيب المحذوف:

ومن الشّواهد الّتي فيها تركيب أو عدد من الجمل محذوفة نذكر منها: قوله تعالى:﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ١٤ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[7].

[1] سورة يوسف: 35.

[2] ينظر: تفسير ابن عطيّة، ابن عطيّة، ج3، ص:242.

[3] ينظر: معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج، ج3، ص:104.

[4] سورة يوسف:82.

[5] ينظر: أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والاعجاز مصطفى شاهر خلوف، ، ص: 170

[6] المرجع نفسه، ص:171.

[7] سورة يوسف:14، 15.

في الآية الكريمة إيجاز بالحذف، وهو حذف مشاهد كثيرة تحمل جملة من الكلام والأقوال، والمحذوف في هذا الموضع هو جواب الأمر: (أرسله معنا) وتقديره: فأرسله معهم وبلّغوا المكان الّذي فيه الجبّ[1].

وممّا لا شكّ فيه أنّها جملة بالغة "الإيجاز والحذف وتكثيف المعاني والمشاهد والعبارات، إذ بين الذّهاب به وبين الإجماع على أن يكون في غيابة الجبّ ساعات طوال من الإرهاق الفكري، والتّعقيدات الأمنيّة والمداولات الكثيرة، وربّما الآراء المتناقضة"[2].

وما نلاحظه من فجوات بين المشاهد وإسقاط الجملة من الكلام؛ فهذه طريقة ماتعة في جميع القصص القرآني تقريبا.

فبالحذف تتعدّد الآراء وتختلف التّخريجات عند المفسّرين، ولعلّ هذا هو السّرّ في الحذف؛ الّذي يؤثّر إيجابا على إعمال الفكر فيكثر معه المعنى ويتعدّد. والنّاظر إلى الموقف والحالة النّفسيّة التي كان عليها إخوة يوسف من خوف وقلق وتشوّق لأخذ يوسف معهم؛ وعندما أخذوه وأجمعوا أن يرموه بالجبّ، وهذا ما أرادوه واتّفقوا عليه من البداية، وسرّ الحذف هنا في تحقيق التّناغم الصّوتي واللّفظي، فبالحذف ستختلف وجهات النّظر؛ ممّا يضطر المتلقّي أو القارئ تصوّر مشاهد عديدة حسب تلقيه النّصّ بحسب المقام.

قال الله تعالى:﴿**وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ**﴾[3]، ومنه، في هذه الجملة حذف تقديرها: " وجاءوا أباهم دون يوسف عشاء يبكون، فقال: أين يوسف؟ قالوا: إنّا ذهبنا نستبق فأكله الذّئب، فبكى وصاح وخرّ مغشيّا عليه. قال (بل سوّلت) وهو محذوف تقديره: لم يأكله الذّئب بل سوّلت" [4]

[1] ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج4، ص: 146. التّفسير الكبير، الفخر الرّازي، ج18، ص:101.

[2] في التّذوّق الجمالي لسورة يوسف أبو حمدة محمّد علي، ، دار البشير، عمان، 1405هـ، 1985م، ط1، ص:66.

[3] سورة يوسف:16.

[4] تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تح وتع: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ج5، ص:289.

أمّا في قوله (وجاءوا أباهم عشاء يبكون)، يعني عشاء ذلك اليوم الّذي خرجوا فيه، والمجيء فيه صعوبة بالنّسبة لأتى، ولذلك يكاد يكون هذا طابع عامّ في القرآن الكريم، إذا فهناك فروق دلاليّة في آيات القرآن[1]. فكان هنا الحذف للإيجاز والاختصار وما دلّ عليه الآية الّتي بعدها، والّتي يقولون فيها أن ذهبوا للسّباق وتركوا يوسف عند المتاع فأكله الذّئب.

ونلمس في هذه الآية الكريمة إيجاز بليغ، وظهر ذلك بعد تقدير المحذوف، فبعد تقدير المحذوف تكتشف جماليّة الإيجاز التي تجعل السّامع أو القارئ يبذل طاقة عالية لفهم السّياق القصصي، فحذف عدّة أجزاء ممّا زاد من بيان الآية، وجعل لها رونقا عجيبا؛ حيث تجعل القارئ يغوص في أعماق القصّة.

قال الله تعالى:﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾[2]، إذا حملنا الآية على ظاهرها ونظمها كان (وهمّ بها) معطوفا على (همّت به) ولولا أن رأى برهان ربّه لزنا بها بعد الهمّ، فلمّا رأى البرهان زال الهمّ ووقع[3].

وقد زعم بعض من يتكلّم في القرآن برأيه أنّ يوسف عليه السّلام لم يهتمّ بها، يذهب إلى أنّ الكلام انقطع عند قوله:(ولقد همّت به) قال: ثمّ استأنف فقال:(وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربّه)، بمعنى: لولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها، واحتجّ بقوله:(ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب). وقال الحسن: إنّ الله لم يذكر معاصي الأنبياء ليعيّرهم بها، ولكنّه ذكرها لئلّا تيأسوا من التّوبة[4].

وقيل: معنى (وهمّ) أنّه شيء يخطر على القلب، كما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم:" من همّ بسيّئة ثمّ لم يعملها لم تكتب عليه"[5] وهذا ممّا يخطر في القلب، ولو همّ بها على أنّه يواقعها لكان ذلك عظيما. وقال بعض أهل اللغة: المعنى: وهمّ بدفعها[6].

---

[1] الموقع الإلكتروني: STARTIMES. COM/ F.OSPX، 2023/5/12م، 11:03.

[2] سورة يوسف، الآية: 24.

[3] ينظر: التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، ساعد بن سليمان بن ناصر الطّيّار، دار ابن الجوزي، ص:531.

[4] ينظر: معاني القرآن، أبو جعفر النّحّاس، مج:1، ج1، ص:420.

[5] صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، ط:1، دمشق بيروت، ص:1614.

[6] ينظر: المرجع السّابق، ص:420.

والقارئ والمتدبّر في القرآن يقف الوقف الهبطي (ولقد همّت به) وقف ثمّ يستأنف (وهمّ بها لولا ..) هكذا حتّى يكون المعنى صحيحا، والله أعلم.

تتحمّل الآية حذفا؛ والتّقدير: لولا أن رأى برهان ربّه لزنا بها بعد الهمّ، فلمّا رأى البرهان زال الهمّ. والسّر في حذف أكثر من جملة؛ هو تسريع عرض المشاهد، وذلك لا يكون إلّا بطيّ كثير من الأحداث الّتي يدلّ عليها السّياق وتفهم من خلال بقيّة الأحداث المعروضة. وهذا كلّه نسق فنّي يحقّق جماليّة في عرض الأحداث مختصرة، ويروم إلى تحريك وجدان القارئ وتنشيط خياله لإعادة بناء هذه الأحداث المطلوبة في سياقات القصّة.

قال جلّ وعلا في الآية الكريمة: ﴿**يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ**﴾[1]، إذا كان الكلام المحكيّ "عن يوسف في الآية؛ صدر منه على النّحو الّذي نظم به في الآية، وهو الظّاهر كان جمع التّأويل في عبارة واحدة مجملة، وإذا كان نظم الآية على غير ما صدر من يوسف، وكان كلاما معيّنا فيه كلّ من الفتيين بأن قال: أمّا أنت فكذا وكذا، وأمّا أنت فكذا وكذا"[2].

فقد استعمل التّعبير القرآني أسلوب الحذف في هذا المقام" للاستدلال والبرهنة الّتي تتطلّب حذف ما يمكن أن يدركه المخاطب، ويأتي معه الكلام تامّا والحجّة واضحة"[3]. وقد كان تفسير يوسف عليه السّلام للرّؤيا موجزا مختصرا، إذ فسّر للمسجون الأوّل أنّه سوف يقتل ويترك حتّى تأكل الطّير من رأسه، وهذا ما سبق ذكره (فيصلب فتأكل الطّير من رأسه)، وأمّا الثّاني: فبشّره أنّه سوف يخرج من السّجن ويعود إلى الملك وخدمته، ويظهر ذلك في قوله: (فيسقي ربّه خمرا). ولا يخفى علينا ما يضفيه الإيجاز من جمال وإجلال للمعنى.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ**

[1] سورة يوسف:41.

[2] تفسير التّحرير والتّنوير، طاهر بن عاشور، ج12، ص:278.

[3] أساليب الإقناع في القرآن الكريم، بن عيسى بطاهر، ص: 159.

إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[1]، والتّقدير في هذه الآية:" فأرسلون إلى يوسف فأستعبره لرّؤيا، فأرسلوه إليه، فأتاه وقال له: يا يوسف أيّها الصّدّيق أفتنا"[2].

بحسب ما جاء في تفسير السّعدي:" (وقال الّذي نجا منهما)؛ أي من الفتيين: وهو الّذي رأى أنّه يعصر خمرا، وهو الّذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربّه (وادّكر بعد أمّة)؛ أي وتذكّر يوسف، وما جرى له في تعبيره لرؤياهما، وما وصّاه به. وعلم أنّه كفيل بتعبير هذه الرّؤيا بعد مدّة من السّنين فقال: (أنا أنبّؤكم بتأويله فأرسلون) إلى يوسف لأسأله عنهما، فأرسلوه فجاء إليه، ولم يعنّفه يوسف على نسيانه؛ بل استمع ما يسأله عنه، وأجابه عن ذلك فقال:(يوسف أيّها الصّدّيق)؛ أي كثير الصّدق في أقواله وأفعاله، (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات، لعلّي أرجع إلى النّاس لعلّهم يعلمون)، فإنّهم متشوّقون لتعبيرها وقد أهمّتهم"[3].

فالسّياق في الآية الكريمة تطلّب حذفا لعدّة أجزاء من القصّة: (فأرسلوني إلى يوسف، فأستعبره الرّؤيا فأرسلوه إليه، فأتاه وقال له: يا يوسف أيّها الصّدّيق أفتنا). ومثل هذا الحذف يزيد من إيهام السّامع من حيث زيادة تفاعله مع أحداث القصّة، وينسى أنّه يسمع القصّة من أجل الموعظة والعبرة، بل تمرّ المشاهد متحرّكة متسارعة أمام عينيه، وكأنّه يراها عيانا. فجمالية هذا الحذف تجعل السّامع يبذل طاقة تحليليّة عالية لفهم هذا السّياق القصصي[4].

فحذف عدّة أجزاء من سياق القصّة زاد من بيان الآية، وجعل لها رونقا عجيبا؛ ممّا يجعل السّامع يغوص في أعماق القصّة لفهم سياقها.

---

[1] سورة يوسف:46، 45.

[2] جمالية اتّساع المعنى في أسلوب الحذف، سليمان عميرات، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمّد الفاتح، العدد:7، إسطنبول، 2018م، ص:375.

[3] تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 2002م، ص: 399، 400.

[4] ينظر: المرجع السّابق، ص:375.

قال الله تعالى:﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَايَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾[1]، في الآية الكريمة، وفي ذكر الرّؤيا إيجاز بليغ أحاط به يوسف عليه السّلام وبنى عليه تعبيره، فقد جاء الشّطر الثّاني من سردها مختلفا عن أسلوب الشّطر الأوّل منعا من حصول التّكرار. فلم يذكر غلبة الضّعيف على القويّ من السّنبلات مع ذهاب المعنى إلى حصوله قياسا على ما ذكره في الشّطر الأوّل من الرّؤيا، فالتّقدير: وسبعا أخر يابسات؛ فأعرض عن ذكر ذلك الاكتفاء بما ذكر من حال البقرات[2].

فالحذف هنا لم يقف عند حدّ الكثرة؛ بل يكسب الكلام جمالا وحسنا، وصيانته من العبث واحتراز من التّكرار المذموم.

وقال تعالى:﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٠٩ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[3]، في الآية الكريمة "إيجاز بالحذف والتّقدير: فدعا الرّسل أقوامهم إلى الله واجتهدوا في إنذارهم لخلاصهم من الشّقاء، وتوعّدوهم من الله بأنواع العذاب إن لم يتّبعوهم، فكذّبوهم، ودام تكذيبهم وإعراضهم، وطال عليهم الأمر، وتراخى النّصر وهم يكذّبونهم في تلك العادات، ويستهزؤون بهم، حتّى اطمأنّوا بالسّلامة وسخروا بالرّسل واستمرّ ذلك، فقال تعالى: حتى اذا استيأس الرسل"[4].

وعليه، فإنّ حرف الغاية (حتّى) بمعنى محذوف، دلّ عليه قوله تعالى:(وما أرسلنا من قبلك إلّا رجالا)، ما نلاحظه في سياق الآية وما وقع فيها من حذف؛ فإنّنا نلتمس ونشعر بتلك اللّمسة الجماليّة والفنّيّة.

قال تعالى:﴿وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ﴾[5]، والسّؤال أو الإشكال الّذي

[1] سورة يوسف:43.

[2] ينظر: إرشاد العقل السّليم، أبو السّعود، ج3، ص:151.

[3] سورة يوسف:109، 110.

[4] الكشّاف، الزّمخشري، ج2، ص:347.

[5] سورة يوسف:58، 59.

يتبادر إلى أذهانا" ما أدراه أنّ لهم أخا من أبيهم تخلّف عن القدوم معهم؟"[1]، وهذا ما يؤكّد بسقوط حوار وكلام بين يوسف وإخوته وصولا إلى قوله:﴿ **قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ** ﴾[2]. وللرّازي رأي في هذا الحوار حين قال:" واعلم أنّه لا بدّ من كلام سابق حتّى يصير ذلك الكلام سببا لسؤال يوسف عن حال أخيهم، وذكروا فيه وجوها من بينها: الوجه الأوّل وهو أحسنها؛ أنّ عادة يوسف عليه السّلام مع الكلّ أن يعطيه حمل بعير لا أزيد عليه ولا أنقص، وإخوة يوسف الّذين ذهبوا إليه كانوا عشرة، وأعطاهم عشرة أحمال، فقالوا: إنّ لنا أبا شيخا كبيرا وأخا بقي معه(...)، فلمّا ذكروا ذلك قال يوسف؛ فهذا يدلّ على أنّ حبّ أبيكم له أزيد من حبّه لكم(...) فجيئوني به حتّى أراه"[3].

ومن الكلام أو الجمل المحذوفة في قوله تعالى: ﴿ **قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾[4]، فهل يستقيم المعنى على هذا النّحو، وهل العبارة مفهومة دون جبر، فالنّصّ على ظاهره لن يبرّر أو يفسّر هذا الاقتراح المتمثّل في أخذ أحدهم مكانه، لأنّه لن يحلّ المشكلة. وفي كلّ الأحوال سيعودون على أبيهم وقد نقص أحدهم؛ إلّا أن يكون هناك حذف بين الفرق بين الأخذين وكانوا قد أعلموا يوسف بأنّه كان له ابن هلك، وهذا شقيقه يستأنس به، وكأنّ المحذوف أنّ هذا الأب يحبّ هذا الطّفل ولا يستطيع فراقه، ويمكنك أن تأخذ أحدنا فنحن رجال نتحمّل هذا الموقف.

ومقصدهم بذلك يصل بنيامين إلى أبيه ويعرف جليّة الأمر[5]، فالحذف ههنا وقع في إسقاط جمل كثيرة، وهي شرح أولاد سيّدنا يعقوب ليوسف عليه السّلام حالة أبيهم المزرية من كبر وضعف واشتياق لولده الضّائع، وأنّ الأمر سيزيد سوءً لو أخذ ابنه الثّاني والّذي كان عزيزا عليه مثل يوسف؛ فأرادوا أن يقنعوه بتركه أو بأخذ أحد آخر مكانه. ومن الخصائص الفنّيّة للحذف في الآية الكريمة؛ تلك الفجوات

[1] التّفسير التّداولي للنّصّ القرآني، مجدي حسين، ص: 188.

[2] سورة يوسف: 58، 59.

[3] التّفسير التّداولي للنّص القرآني، مجدي حسين، ص: 188.

[4] سورة يوسف:78.

[5] ينظر المرجع السّابق، ص:189.

الواصية بين المشاهد، وهذا ما يدفع المتلقّي إلى إذكاء حاسّة التّأمّل، والتّخيل أملا في ملء تلك الفراغات الّتي خلّفها الحذف، فإذا ما توفّق في تجسيدها وملمتها تمالكته الغبطة والمسرّة[1].

قال تعالى: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، ما يفهم من الآية الكريمة أنّ يعقوب هو المعني الأوّل بالمجيء، إذ هناك حذف وقع في سياق الكلام، فلم يطلب يوسف من إخوته بأن يأتوا بأبيهم مكتفيا بما أفاده قوله (يأت بصيرا)، وهنا تظهر قمّة التّأدّب مع الأب يعقوب عليه السّلام.

وقد كان يوسف يرتقب تحقّق رؤياه الّتي رأى في صغره ولن يكون ذلك إلّا بوجود أبيه على رأس القادمين[3]. فعلى الرّغم من الإيجاز والحذف الّذي يقع في الآية؛ إلّا أنّ القارئ المتدبّر للقرآن يمكنه فهم معان كثيرة، منها: أنّ يوسف عليه السّلام لم يذهب إلى أبيه عند تعرّفه على إخوته، ولم يطالب بمجيئه إليه؛ وذلك ما يبيّن برّه بأبيه؛ ولكن كانت هناك أحداث ومشاهد كثيرة حتّى وصل الأب إلى ابنه، وهذا ما يزيد سيّدنا يعقوب عليه السّلام أجرا لصبره على فقد ابنه. وفعلا كان صبره صبرا جميلا.

نقف هنا على أثر المحذوف، الّذي يستميل القارئ ويشحذ ذهنه، وذلك بعشرات المعاني المندرجة ضمن هذا الحذف، وتتدفّق المعاني تدفّقا، وهذا أوقع في النّفس وأبلغ في الوعظ وأقوم في الإقناع؛ وهذا ما يميّز بلاغة الإيجاز، الّذي يفتح للمتلقّي ميادين فسيحة من التّدبّر والتّفكيرو يسلمه إلى فيوض زاخرت بالمعاني والدّلالات[4]. وفي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[5]

هذه الآية من أحسن القصص، لأنّها بلغت درجة الإعجاز والإيجاز في جمعهما لقصّة يوسف عليه السّلام، من تحقيق الرّؤيا وما سبقها من أحداث، وتلك الآية من الله على لسان يوسف عليه

[1] ينظر: جماليات العبور في القرآن الكريم، دراسة جديدة في جمالية الذّكر الحكيم أحمد ذيب، ، دار النّشر نماء، ط1، بيروت لبنان، 2022م، ص:68.

[2] سورة يوسف: 93.

[3] ينظر: لطائف التّفسير، العريس، ص:355.

[4] ينظر: جمالية العبور في القرآن الكريم، أحمد ذيب، ص: 66.

[5] سورة يوسف:100.

السّلام، فبها إيجاز، أشار بها" إلى مصائبه السّابقة من الابقاء في الجبّ، ومشاهدة مكر إخوته به؛ بقوله:(من بعد أن نزغ الشّيطان بيني وبين إخوتي)

فكلمة (بعد)، اقتضت أنّ ذلك شيء انقضى أثره؛ وقد ألمّ به إجمالا اقتصارا على شكر النّعمة، وإعراضا عن التّذكير بتلك الحوادث المكدّرة للصّلة بينه وبين إخوته، فمرّ بها مرور الكرام، وباعدها عنهم بقدر الإمكان؛ إذ ناطها بنزغ الشّيطان"[1] وهنا تظهر لنا حكمة سيّدنا يوسف عليه السّلام، وشدّة حِلمه، إذ لم يعاتب إخوته؛ بل أرجع كلّ ذلك للشّيطان" وبعد أن نزغ؛ أي أفسد، وأسند النّزغ إلى الشّيطان لأنّه الموسوس، وذكر هذا القدر من أمر إخوته؛ لأنّ النّعمة إذا جاءت إثر شدّة وبلاء كانت أحسن موقعا"[2]

لعلّ من مطالب الحذف في هذه السّياقات، تحقيق البعد الجمالي الفنّي، وذلك بجعل مخيّلة القارئ مرنة بتقديم المحذوف فصلا عن الاختصار والاقتصاد، لذلك يمكن القول إنّ الإيجاز بالحذف لسمة التدبّر والتّفكّر، يدفع القارئ إلى الاستبطان في البنيات العميقة الثاوية وراء الظّاهر، ليحصل على المحذوف الأساسي، فيقدّره بحسب السّياق. وهذا في جوهره طواف ماتع على المحذوف الّذي كثيرا ما يتعلّق بأغراض بلاغيّة ولطائف قرآنيّة، ووظائف دلاليّة لا تتحقّق بذكره.

– إيجاز القصر في سورة يوسف:

تميّزت سورة يوسف عن غيرها من السّور ببروز أسلوب الإيجاز، فقد اشتملت آيات ومفردات السّورة على هذا الأسلوب البلاغي، فإيجاز القصر يعنى به الألفاظ الّتي تشمل على معان متعدّدة جاء ظاهرا وجليّا في سياق السّورة، وسنذكر بعض الشّواهد فيما يلي: قال تعالى:﴿**قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ**﴾[3] فهي على

[1] التحرير والتنوير، الطّاهر بن عاشور، ص: 57.

[2] البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف، دار الفكر، بيروت، 1413هـ، 1992م، .ص:328، 329.

[3] سورة يوسف:17.

اقتضابها تختصر شرحا وتفصيلا يعلو عليه القرآن، ولو اجتهد أيّ أحد في إيصال هذه الفكرة إلى يعقوب ببعض الكلمات لتعذّر عليه ذلك، وهذا من قبيل الإعجاز في القرآن[1].

فلا يمكن لأيّ أحد كان مهما بلغت درجته العلميّة؛ أن يصيغ لنا كلاما موجزا في جملة تعبّر عن مشاهد عدّة، وهنا يظهر لنا الإعجاز القرآني الّذي نتمتّع بقراءته مرارا وتكرارا دون ملل أو كلل.

إذا ما جئنا إلى الحذف الواقع في الآية؛ نجده ذا أبعاد دلاليّة وإيحائيّة، يثير الدّهشة والمفاجأة، لما حصل مع سيّدنا يوسف في البئر، وهذا ما يجعل المتلقّي يعيد تصويرا مشهديّا للحدث وكأنّه يحياه. فجمالية الحذف هنا تظهر في نفسيّة المتلقّي، وهو ينتقل من مشهد إلى مشهد آخر، وكأنّه صورة مركّبة من عالم ملموس، يعيشها المتلقّي أو القارئ. فالحذف هنا جمع بين جمالية الأداء، وكثافة الإيحاء؛ هذا ما جعل القارئ يشارك في إنتاج الدّلالة وحصول المقصود، وإحراز البلاغة.

وفي قوله سبحانه: وقوله تعالى: ﴿**وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ**﴾[2]

في تأمّلنا لجمال الصّيغة الأدبيّة في وصف الوقائع بتعابير قليلة ومعان كبيرة، نجد في جملة واحدة تمّ عرض ثلاث وقائع مختلفة[3]، وهي أوّلا:(جاءت سيّارة) وما تحمله من معان كثيرة كمجموعة من التّجّار، وحملهم البضائع؛ إضافة إلى الدّوابّ الّتي كانت تحملهم. ثانيا: (فأرسلوا واردهم)؛ وهنا إرسالهم لشخص كان بينهم حتّى يحضر لهم الماء، ثمّ (فأدلى دلوه)، معناه أنّه وجد البئر وأدلى دلوه.

وفي قوله تعالى: ﴿**وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾[4] ، قال الصّابوني رحمه الله:" هذا من اختصار القرآن المعجز الّذي يجمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة، وذلك أنّها لما راودته عن نفسه وأبى؛ عزمت على

[1] ينظر: لطائف التفسير من سورة يوسف، العريس، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1425هـ، 2005م، ص:69.

[2] سورة يوسف:19.

[3] المرجع السّابق، ص:76.

[4] سورة يوسف:25

أن تجبره، فهرب منها فتسابقا نحو الباب؛ هي لتردّه إلى نفسها، وهو يهرب منها، فاختصر القرآن ذلك كلّه بتلك العبارة البليغة (واستبقا الباب).[1]

كما أنّ أداء المقرئ لهذه الآية في قوله (واستبقا الباب) سيكون له أثر في أذن السّامع، فالنبر على حرف القاف يبين لنا أنّهما كانا شخصين اثنين متسابقين نحو الباب، فهو بالطّبع للهروب منها ومن كيدها، وهي لمراودته وإصرارها على الفاحشة.

وفي قوله تعالى:﴿**فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ**﴾[2] وعن هذه الآية الكريمة ذكر القاضي العيّاض أنّ أعرابيّا سمع رجلا يقرأ هذه الآية فقال: أشهد أنّ مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام[3].

وذلك أنّ الآية ذكرت صفة" اعتزالهم لجميع النّاس وانفرادهم عن غيرهم وتقليبهم الآراء ظهر البطن، وأخذهم في تزوير ما يلقون به آباهم عند عودتهم إليه، وما يوردون عليه من ذكر الحادث، فتضمّنت الآية القصيرة معاني القصّة الطّويلة" [4] ونفهم أنّ إخوة يوسف عليه السّلام قد أصابهم اليأس والقنوط والإحباط، وشهروا أنفسهم عاجزين عن إقناع العزيز بخطورة الموقف الّذي هم فيه. فأرادوا الابتعاد لعقد جلسة تشاور فيما بينهم؛ عسى أن يصلوا إلى حلّ لهذه المعضلة التي تبدو لهم لا حلّ لها[5].

فجمالية الحذف في هذه الآية؛ وقعت طلبا للإيجاز والاختصار وطرح فضول الكلام وتحصيل المعنى الكثير باللّفظ القليل، إذ يفتح للمتلقّي مجالا للتّفكير والتّدبّر، ومعلوم أنّ النّفس كلفة بالتّجدّد ومولعة به[6].

---

[1] ينظر: صفوة التّفاسير الصّابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، 1402هـ، 1981م، ج2، بيروت، ص:53.

[2] سورة يوسف:80.

[3] ينظر: الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل بن موسى القاضي عيّاض، تح: عبده علي كوشك، مكتبة الغزالي، دار الفيحاء، بيروت، 1420هـ، 2000م، ط، 1 ص:322.

[4] صفوة التّفاسير، الصّابوني، ج2، ص:66

[5] ينظر: لطائف التّفسير من سورة يوسف، العريس، ص:311.

[6] ينظر: جماليات العبور في القرآن الكريم، محمد ذيب، ص:66.

قال تعالى:﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[1].

وفي ظلّ هذه الآية الكريمة قال لصاحب المنار رحمه الله ''وهذا ضرب من بلاغة الأسلوب والإيجاز، لا تجد له ضربا في غير القرآن خاطب أولي الأمر بما لقّنه للسّاقي خطاب الآمر للمأمور الحاضر، فأوجب عليهم الشّروع في زراعة القمح دائبين عليه دأبا مستمرّا"[2] ففي الآية كلام موجز لأحداث دامت أربعة عشر سنة، ما فيها من جوع وقحط، وما سيحمل النّصف الآخر من تدبيرات وإجراءات وقائيّة لتصريف وتحسين أمور الأمّة في ظلّ المحنة الّتي أحلّت بهم. فجمالية الإيجاز في الآية الكريمة؛ اتّصافها بالدّقّة الفائقة في اختيار الألفاظ وحسن تركيبها.

وفي قوله عزّ وجلّ:﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[3] ، فكم من المعاني تحملها هاته الآية، وعبارة(آوى إليه أخاه)، وهو تصوير عامر بالمشاعر والأحاسيس؛ يحمل معانى الضّمّ والحنوّ والرّقّة والرّحمة، والمحبّة العميقة الخالصة، وكأنّ الآية توضّح لنا في إيجاز مدهش مدى عمق حبّ يوسف عليه السّلام لأخيه الأصغر.إذ نفهم من كلمة (آوى إليه أخاه) التّقريب والحماية، ويتبادر إلى ذهننا صورة الطّائر الّذي يضمّ تحت جناحيه صغاره، حنوّا وحماية، حبّا ورعاية وكفاية[4].

فالإيجاز مسلك تعبيري، بديع التّأليف، شريف النّظم، دقيق المسلك، جيّد السّبك، لطيف المأخذ[5].

[1] سورة يوسف:47، 49

[2] تفسير المنار، رضا، ج13، ص:263.

[3] سورة يوسف: 69.

[4] ينظر: لطائف التفسير من سورة يوسف، العريس، ص:216.

[5] ينظر: جماليّات العبور في القرآن الكريم، محمّد ذيب، ص:63

وفي قوله تعالى:﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَـٰعَهُمۡ وَجَدُواْ بِضَـٰعَتَهُمۡ رُدَّتۡ إِلَيۡهِمۡۖ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ﴾[1]

فقوله (ما نبغي) تحتمل معنيين؛ الطّلب أو الظّلم بالكذب[2]. إذ نجد الطّاهر بن عاشور رحمه الله يقول في هذه الآية، وعن هذه اللّفظة: بين حمل (ما) على الاستفهام الإنكاري أو النّفي مع إفادة الفعل معنى الطّلب" والمعنى واحد لأنّ الاستفهام الانكاري في معنى النّفي"[3].

فقد يكون مقصودهم نفي طلب البضاعة من أبيهم في رحلتهم القادمة، أو أنّهم لما ذكروا لأبيهم ما أكرمهم به العزيز وتفضّل به عليهم، جعلوا من ردّ بضاعتهم دليلا على نفي كذبهم فيما ذكروه له، أو في ذكر شيء لم يكن، ويبقى ترك الذّكر أفصح من الذّكر.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴾[4] ، فالضّمير هنا في قوله (كلّمه) يحتمل أن يكون على الملك أو على يوسف." والظّاهر أنّ الفاعل ب(كلّمه) هو ضمير الملك، أي فلمّا كلّمه الملك ورأى حسن جوابه ومحاورته. وهذا أولى لأنّ مجالس الملوك لا يحسن ابتداء الكلام فيها لغيرهم"[5] .

إلّا أنّ أبو حيّان يقول:" يحتمل أن يكون الفاعل ضمير يوسف؛ أي: فلمّا كلّم يوسف الملك، ورأى الملك حسن منطقه بما صدّق به الخبر. والمرء مخبوء تحت لسانه"[6]، فاللّافت في هذه الآية بالرّغم من قصرها؛ إلّا أنّها احتملت عدّة معان، وكتب لها عدّة تفاسير، وهذا من إعجاز القرآن فالإيجاز هنا

[1] سورة يوسف:65.

[2] ينظر: المحرر الوجيز، ابن عطيّة، ج8، ص:18.

[3] التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، ج13، ص:17.

[4] سورة يوسف:54.

[5] غرائب القرآن وغرائب الفرقان على مصحف التّهجّد، القمي نظام الدّين الحسن بن محمّد بن الحسين النّيسابوري، دار الصّفوة، 1416هـ، 1995م، ط1، ج3، ص:1841.

[6] البحر المحيط، أبو حيّان، ج6، ص:391.

أدّى إلى تحريك وجدان القارئ وتنشيط خياله لإتمام بناء ما يقصّ مستمتعا بكلّ مزايا الفنّ الجميل، مؤمنا بما يهدف إليه القصص القرآني"[1].

قال تعالى:﴿**قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ**﴾[2]، من خلال الآية الكريمة يتبيّن لنا كيف عاد سيّدنا يعقوب وأولاده واجتمعوا مع يوسف عليهما السّلام بعد طول انتظار. فكلمة(آوى) تتضمّن معاني التّآلف والتئام الجرح، وتحمل في طيّاتها معاني الرّحمة بأبويه والعطف عليهما، وقد أصبحا كبيرين في السّنّ[3].

وتنتهي قصّة يوسف بدعائه في قوله عزّ وجلّ:﴿**رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ**﴾[4] ، فكم من المعاني العظيمة الّتي اشتمل عليها الدّعاء بإيجاز شديد، كما ورد في الآية؟ في دعاء يوسف عليه السّلام: أمران نالهما من ربّه في دنياه (آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث)، وأمران طلبهما لآخرته (توفّني مسلما وألحقني بالصّالحين)، إضافة إلى أمران يتعلّقان بصفات الله تعالى (فاطر السّماوات والأرض)، والألوهيّة والوحدانيّة (أنت وليّي في الدّنيا) بما وهبتني أو معيني، (والآخرة) بما أرجوه منك وأقتضيه إليك مسلما[5].

فالقيمة الجماليّة لهذه الآية تكمن في القدرة على إغناء الآيات بالدّلالات الجديدة والّتي لا تبوح بها الدّلالة الوضعيّة عند أوّل وهلة[6]. فالحذف ليس خرقا لنظام العربيّة، إنّما هو نظام العربيّة نفسه في أعلى درجاته الإبداعيّة والبلاغيّة[7].

---

[1] ينظر: تصريف القول في القصص القرآني، امحمّد محمّد صافي المستغانمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2011م، ط1، ص:44، 45.

[2] سورة يوسف:99.

[3] ينظر: بلاغة الإيجاز في الشّعريّة العربيّة، يوسف بديدة، باتنة، رسالة ماجستير، 2008-2009م، ص:65.

[4] سورة يوسف:101.

[5] ينظر: تفسير البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1435هـ، 2014م ، ط2، ص:664.

[6] ينظر: جماليات العبور في القرآن الكريم، محمد ذيب، ص:74.

[7] ينظر: المرجع نفسه، ص:68.

وفي قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1]، ففي ماهية تأويل الأحاديث أقوال:[2]

أحدها: وهي عبارة الرّؤيا، فعلى هذا سمّي تأويلا لأنّه بيان ما يؤول أمر المنام إليه، والثّاني إرجاع الحوادث إلى عللها وأسبابها بإدراك حقائقها على التّمام، وهو المعني بالحكمة، وثالثا؛ تدارك عواقب الأمور، ورابعا؛ تأويل أحاديث الأنبياء والأمم والكتب، وقيل: هي عامّة لذلك وغيره من المغيبات[3]. ونجد الطّاهر بن عاشور يقول عن هذه الآية: اختيار هذا اللّفظ يكون إيجازا معجزا، إذ يكون قد حكي به كلام طويل صدر من يعقوب عليه السّلام بلغته، يعبّر عن تأويل الأشياء بجميع تلك المعاني[4].

(ويتمّ نعمته عليك)؛ وفي إتمامها أقوال: أحدها بالنبوّة، وثانيها بإعلاء الكلمة، والثّالث بأنّ أحوج إخوته إليه حتّى أنعم عليهم[5]. وهذه أعلى درجات إكرام الخالق لعبد من عباده بأن يتمّ نعمته عليه وايّ نعمة توازي إتمام النّعمة عليه؟ فهو بهذا في صون ورعاية، وهناء وطمأنينة بال، وحفظ كامل من وساوس الشّيطان ودهائه ومكائده، وحفظ من المكاره والمهالك[6].

وتتعدّد التّأويلات حول هذه الآية ولا يمكننا حصرها في معنى واحد، ويبقى كتاب الله القرآن المعجز والّذي هو صالح لكلّ زمان ومكان.

---

[1] يوسف:06.

[2] ينظر: زاد المسير في علم التّفسير، ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدّين عبد الرّحمان بن علي بن محمد القرشي البغدادي، تح: محمد عبد الله، دار الفكر، بيروت، 1407هـ، 1987م، ط1، ج4، ص:140.

[3] ينظر: الإيجاز والإطناب في سورة يوسف، عبد السلام فريد مصطفى السلمان، كلّيّة الدّراسات العليا، الأردن، رسالة ماجستير، ص64.

[4] ينظر: التحرير والتنوير، الطّاهر بن عاشور، ج12، ص:216.

[5] ينظر: زاد المسير، ابن الجوزي، ج4، ص:140.

[6] ينظر: لطائف التّفسير من سورة يوسف، العريس، ص:30.

نستنتج من السّرد القصصي في القرآن الكريم أنّ له تقنيات وميزات خاصّة في سياق القصص، لا نجدها إلّا في القرآن الكريم، منها حذف جملة أو أكثر من جملة " يؤدّي هذا النّوع من الحذف وظيفتين أساسيّتين هما:

الوظيفة الأولى: تسريع عرض المشاهد، وذلك لا يكون إلّا بطيّ كثير من الأحداث الّتي يدلّ عليها السّياق وتفهم من خلال بقيّة الاحداث المعروضة.

الوظيفة الثّانية: تحريك وجدان القارئ وتنشيط خياله لإتمام بناء ما يقصّ، حيث أنّ القرآن الكريم حين يحذف فيه ما يحذف من مشاهد وأحداث يحمل السّامع أو القارئ على المشاركة في بناء ما يمكن أن يقصّ تنشيطا لخياله وتحريكا لوجدانه، فيظلّ مأسورا لما يسمع أو يقرأ ماضيا على هوى نفسه، وقد استمعت نفسه بكلّ مزايا الفنّ الجميل، مؤمنا بما يهدف إليه القصص القرآني"[1]

وبعد هذه الرّحلة المقتضبة في التّنقيب عن الإيجاز والبحث عن جمالياته الفنّيّة والدلالية، يتبين لنا أن الإيجاز المتحدّث عنه سابقا لم يكن مجرّد آليّة بلاغيّة أو ضرورة نحويّة فحسب، وإنّما الإيجاز قيمة فنّيّة وجماليّة في سياقات الجملة القرآنية، ولا يقل أهمية عن الإعجاز القرآني.

[1] تصريف القول في القصص القرآني، احمد محمد صافي المستغانمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 201م، ص:44، 45..

خاتمة

الحمد لله الّذي منّ علينا أن أنجزنا هذا البحث المتواضع، وبعد دراستنا لموضوع: الإيجاز وجمالياته الفنّيّة والدّلاليّة في القرآن الكريم –سورة يوسف أنموذجا– فقد توزّع البحث على فصلين نظري وتطبيقي، توصلنا إلى مجموعة من النّتائج والمتمثّلة في:

1. أنّ اللّغة العربيّة لغة إيجاز، وقد يكون الكلام فيه أوقع وأبلغ ويؤدّي من المعاني مالا يؤدّيه الإطناب والإطالة.

2. الإيجاز ظاهرة لغويّة اهتمّ بها، النّحويّون والبلاغيّون، إلّا أنّ النّحويّين كان لهم السّبق في إدراك ظاهرة الحذف، أمّا البلاغيّون فتوسّعوا في البحث عن أسراره الجماليّة والفنّيّة في الخطابات الأدبيّة.

3. الإيجاز هو ما قلّ حروفه وكثر معانيه، ففي بعض الأحيان تجد الاقتصار في الألفاظ أفصح وأبلغ من الزّيادة في الكلام.

4. الإيجاز بالحذف كان الأكثر دراسة في البحوث اللّسانيّة العربيّة، فيما كان مفهوم الإيجاز بالقصد في تلك الدّراسات غائما بالرّغم من تحديده الاصطلاحي على أنّه تقليل للفظ وإطلاق الدّلالة.

5. علم المعاني في حقيقته دراسة لغويّة تناول ظاهرة الإيجاز بنوعيه وبيّن مقاصده وأغراضه، كما درس النّواحي الجماليّة فيه.

6. حظي الإيجاز بعناية لا بأس بها في علم المعاني؛ ذلك لمقاصده ووظيفته التّعبيريّة، كما تتجلّى سمته في حرص اللّغة واللّغوي على حذف العناصر المكرّرة.

7. الإيجاز البلاغي في القرآن الكريم يحقق هدفا تربويّا من ناحية التّنبيه وإتاحة الفرصة لقارئ القرآن الغوص في بحر المعاني، هذا إذا كان الإيجاز إيجاز قصر، أما إذا كان إيجاز حذف فعليه أن يقدّر المحذوف.

8. من أغراض استعمال الإيجاز في السّورة نجد: الاختصار وسهولة الحفظ وتقريب الفهم وكذا فوات الفرصة، وتحصيل المعنى الكثير باللّفظ اليسير.

9. الإيجاز في القرآن الكريم أسلوب بلاغي يرتبط بالمقام الذي يتطلبه.

10. إيجاز الحرف بالقصر: تتلخّص حدوده فيما يختصّ به الحرف من دلالة دقيقة، وتوّسع المعاني للحرف الواحد في مقامات متعدّدة، وأمّا إيجاز الحرف بالحذف فيتمثّل في الأسرار الّتي تضفي على السّياق الّذي تطلّب حذفه حسنا فنّيّا وجمالا بلاغيّا.

11. إيجاز المفردة بالقصر: هو أداء الكلمة الواحدة للمعاني الّتي تغني عن أدائها ألفاظ أخرى، كما تسهم الكلمة الواحدة في تصوير المعاني تصويرا دقيقا، وإيجاز المفردة بالحذف؛ فهو إيجاز تتطلّبه الضّرورة الفنّيّة.

12. إيجاز الجملة بالقصر: هو ما تمّت به المعاني باتّحاد أجزاء العبارات في أوجز بناء تركيبي، وأما إيجاز الجملة بالحذف؛ فهو تكثير المعاني والاقتصار عل الهدف من أقرب طريق.

13. أسلوب الإيجاز من أهم الأساليب العدوليّة في الخطاب القرآني، فالحذف التركيبي عدول عن الأصل، وهو الذّكر، والنّوع الآخر من إيجاز القصر، عدول عن التّطويل، وقد لاحظنا أنّ من أغراض العدول شدّ انتباه القارئ وتحفيز كوامن الخيال والتّدبر لديه بالإضافة إلى التّعويل على فهمه.

14. الإيجاز في الخطاب القرآني ظاهرة كلّيّة تتّسم بتنوّع الأدوات والآليات، والّتي من ضمنها الحذف أو الإيحاءات المتضمّنة في المفردة القرآنية، بحيث تؤدّي إلى أداء طاقات تعبيريّة تحيل القارئ إلى مجموعة من الدّلالات المتنوّعة.

ويبقى القرآن الكريم المجال الخصب للدّراسة اللّغوية والإشكالية؛ والتي نعترف بتقصيرنا فيها وتتمثّل في وقوفنا عند الجانب الجمالي والفنّي للإيجاز في سورة يوسف، دون الولوج إليه من أبوابه الواسعة. ولعلّ عذرنا في ذلك إن صحّ لنا عذر؛ هو في ضيق الوقت الشّديد سواء في جمع المادة أو في إخضاعها للتّقصّي والتّحلّي، وهذا تمّ تداركه في المستقبل لاكم هذا العلم القديم الجديد.

ثبت

المصادر والمراجع

۞ القرآن الكريم برواية حفص.

– المصادر والمراجع:

1. تحرير الجبير في صناعة الشّعر والنّثر وبيان إعجاز القرآن، ابن أبي الأصبع، تح: حنفي محمّد شرف، القاهرة، 1963م.

2. المثل السّائر، تح: محمد عطيّة، ابن الأثير، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1998م.

3. زاد المسير في علم التّفسير، ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدّين عبد الرّحمان بن علي بن محمد القرشي البغدادي تح: محمد عبد الله، دار الفكر، بيروت، 1407هـ، 1987م.

4. الخصائص، ابن جنّي أبو الفتح، تح: محمّد علي النّجّار، مطبعة دار الكتب المصريّة، دار الهدى للطّباعة والنّشر، 1952م.

5. العمدة في محاسن الشّعر وآدابه ونقده، ابن رشيق أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد، بيروت لبنان، مطبعة دار الجيل، ط4، 1972م.

6. سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1982م.

7. علم البيان، علم المعاني، علم البديع، ابن عبد الله شعيب، دار الهدى، الجزائر، دط، 2008م.

8. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطيّة الأندلسي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، ج3، 2001م.

9. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة المكتبة العصرية، 1411هـ.

10. النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن أبو الحسن عليّ بن عيسى الرّماني، تح: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976م.

11. الشّفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل بن موسى القاضي عيّاض، تح: عبده علي كوشك، مكتبة الغزالي، دار الفيحاء، بيروت، 1420هـ، ط1، 2000م.

12. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

13. معاني القرآن، أبو جعفر النّحّاس، تح: محمّد بن علي جيلاني، المكتبة التّوقيفيّة، مصر، ط2، 2013م،

14. في التّذوّق الجمالي لسورة يوسف، أبو حمدة محمّد علي، دار البشير، عمان، 1405هـ، 1985م.

15. البحر المحيط، أبو حيّان الأندلسي الغرناطي محمد بن يوسف، دار الفكر، بيروت، 1413هـ، 1992م.

16. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، تح: علي حسن بن علي بن عبد الحميد الأثري، ط:1، 2008م

17. تفسير البغوي، أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان ط2، 1435هـ، 2014م.

18. الصّناعتين: الكتابة والشّعر، أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل، تح: علي محمد البجاوي، محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط2، د.ت.

19. جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، دار الكتب العلميّة، بيروت لبنان، 1427هـ، 2006م.

20. جماليات العبور في القرآن الكريم، أحمد ذيب، دراسة جديدة في جمالية الذّكر الحكيم، دار النّشر نماء، ط1، بيروت لبنان، 2022م.

21. سورة يوسف دراسة تحليليّة، أحمد نوفل، دار الفرقان، ط1، الأردن، 1989م.

22. معاني القرآن، الأخفش سعيد بن مسعدة، تح: هدى محمود، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1411هـ، 1990م.

23. من روائع الإيجاز والبديع في القرآن الكريم، أشرف حسن محمّد حسن الدّيبي، دار النّشر، ط1، 2016م.

24. تصريف القول في القصص القرآني، احمّد محمّد صافي المستغانمي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م.

25. علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 2011م.

26. تفسير ابن عطيّة، ابن عطيّة، دار الكتب العلميّة، ط1، 1422هـ، بيروت.

27. البيان والتّبيين، الجاحظ، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1975.

28. الحيوان، الجاحظ، مكتبة هلال، بيروت، د.ط، 2003م.

29. الكشّاف عن حقائق وغوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشري، تح: عادل أحمد عبد الموجود، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1.

30. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدّين السّيوطي، تح: شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة ناشرون، ط1، 2008م.

31. التّلخيص في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 2009م.

32. ديوان تميم بن مقبل، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1381هـ 1962م، د.ط.

33. ديوان لبيد، جامع الكتب العربية، د.ط، د.ت.

34. معاني القرآن وإعرابه، الزّجّاج، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1980م.

35. البرهان في علوم القرآن، الزّركشي بدر الدّين محمّد بن عبد الله، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، دار إحياء الكتب العربيّة، ط1، 1907م.

36. البرهان الكاشف عند إعجاز القرآن، الزملكاني كمال الدّين عبد الواحد بن عبد الكريم، تح: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني بغداد، ط1، 1975م.

37. التّفسير اللّغوي للقرآن الكريم، ساعد بن سليمان بن ناصر الطّيّار، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1422هـ.

38. مفتاح العلوم، السّكاكي، تح: تميم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط2، 1987م.

39. الكتاب، سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السّلام محمّد هارون، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983م.

40. التّصوير الفنّي في القرآن الكريم، سيّد قطب، دار الشّروق، القاهرة، ط8، 1983.

41. صفوة التّفاسير، ط، دار القرآن الكريم، الصّابوني، بيروت، ط4، 1402هـ، 1981م.

42. علم اللّغة النّصّي بين النّظريّة والتّطبيق، دراسة تطبيقيّة على السّور المكّيّة، صبحي إبراهيم الفقي، دار قباء للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، ج2، ط1، 2000.

43. التّحرير والتّنوير، الطّاهر بن عاشور، الدّار التّونسيّة للنّشر، تونس، د.ط، 1984م.

44. ظاهرة الحذف في الدّرس اللّغوي، طاهر سليمان حمّودة، الدّار الجامعيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الاسكندريّة، دط، 1998م.

45. الإعجاز التّاريخي والأدبي والتّربوي. عبد الحليم عويس، الهيئة للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، مصر، 1427هـ 2006م، د.ط، ج1.

46. الحديث النّبوي رؤية فنّيّة جماليّة، عبد الدّايم صابر، دار الوفاء، الإسكندريّة، ط1، 2000م.

47. تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنّان، عبد الرّحمان بن ناصر السّعدي، مؤسّسة الرّسالة، بيروت، ط1، 2002م.

48. أثر النّحاة في البحث البلاغي، عبد القادر حسين، دار غريب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1998.

49. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1380هـ، 1960م.

50. عبر ودلالات من سورة يوسف، عبد الله بن علي بصفر، دار النّور المكتبات، ط1، 1426هـ، 2005م، جدّة السّعوديّة.

51. البلاغة العالية علم المعاني، عبد المتعال الصعيدي، تح: عبد القادر حسين، ط3، مكتبة الآداب القاهرة، 1423هـ، 2002م.

52. لطائف التفسير من سورة يوسف، العريس، ط1، دار المعرفة، بيروت، 1425هـ، 2005م.

53. أسرار البيان في التّعبير القرآني. فاضل صالح السّامرّائي، فعاليات جائزة دبي الدولية للقران الكريم، دبي، 1422هـ 2001م، ط1.

54. أسئلة بيانيّة في القرآن الكريم، فاضل صالح السّامرّائي، ط1، مكتبة الصّحابة، الشّارقة، الإمارات، 2008م.

55. بصائر ذوي التّمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز أبادي، تح: محمد علي نجّار، ط3، القاهرة، مصر، 1996م.

56. غرائب القرآن وغرائب الفرقان على مصحف التّهجّد، القمي نظام الدّين الحسن بن محمّد بن الحسين النّيسابوري، دار الصّفوة، 1416هـ، 1995م.

57. التّفسير التّداولي للنّص القرآني. مجدي حسين، دار الكتاب، لبنان، ط1، 2018م.

58. مفاتيح الغيب. محمّد الرّازي فخر الدّين، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1401هـ-1981م، ط1.

59. شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النّحويّة، محمّد بن محمد حسن شرّاب، مؤسسة الرّسالة، بيروت، ط1، ج3، 2007م.

60. تفسير البحر المحيط، محمّد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، تح وتع: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

61. اللاّمع العزيزي شرح ديوان المتنبي، محمد سعيد المولودي، مركز الملك فيصل للبحوث والدّراسات الإسلامية، ط1، 2008م.

62. النّبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار الثّقافة، الدّوحة، قطر، 1985.

63. صفوة التّفاسير، محمّد علي الصّابوني، قصر الكتاب، شركة الشّهاب، الجزائر، ج2، د.ط، د.ت.

64. الإيجاز دراسة بلاغيّة ورؤية نقديّة، محمود شاكر القطّان، كلّيّة التّربية، المدينة المنوّرة، د.ط، 1989م.

65. الإيجاز في كلام العرب ونصّ الإعجاز، مختار عطيّة، دار المعرفة الجامعيّة، د.ط.

66. أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، مصطفى شاهر خلوف، دار الفكر، الأردن، ط1، 2008م.

67. الحذف البلاغي في القرآن الكريم، مصطفى عبد السّلام أبو شادي، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتّوزيع، القاهرة، د.ط، د.ت.

68. دلالات التّقديم والتّأخير في القرآن الكريم، منير محمود الميسري، مكتبة وهبة، ط1، 2005م.

69. الحذف في الجملة العربيّة خلال سورة يوسف، موسى صالح أبو بكر، رسالة ماجستير، جامعة المدينة العالميّة، ماليزيا، 1435هـ، 2014م.

70. جماليّة المفردة القرآنية، نور الدّين عتر، دار المكتبي، دمشق سوريا، ط2، 1419هـ، 1999م،.

71. بلاغة الإيجاز في الشّعريّة العربيّة، يوسف بديدة، باتنة، رسالة ماجستير، 2008-2009م.

– المجلات والدوريات:

72. جمالية القصّة القرآنيّة، بان حميدان، مجلّة كلية الآداب، العدد: 101، جامعة بغداد.

73. جمالية اتّساع المعنى في أسلوب الحذف، سليمان عميرات، مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمّد الفاتح، العدد:7، إسطنبول، 2018م.

74. الالتفات في البلاغة العربيّة ونماذج من أسرار بلاغته في القرآن الكريم، قحطان طاهر عبد الرّحمان، مجلّة الدّراسات الاجتماعيّة، 2005م.

– المذكرات والأطروحات:

75. الحبك المكاني في السّياق القصصي القرآني، سورة يوسف أنموذجا، أمنة عشاب، رسالة ماجستير، 2006، 2007.

76. الأبنية الصّرفيّة ودلالتها في سورة يوسف عليه السّلام، بن ميسية رفيقة، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 1425هـ2006م.

77. النّظم القرآني في سورة يوسف عليه السّلام، جمال رفيق يوسف الحاج علي، رسالة ماجستير، فلسطين، 2000م.

78. الإيجاز في القرآن الكريم، الحاج بكي، رسالة ماجستير، تلمسان، 2001م.

79. أساليب الإيجاز في الخطاب القرآني، حميدي بن شارف، رسالة ماجستير، وهران، 2014-2015م.

80. الالتفات في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، خديجة محمّد أحمد البناني، رسالة ماجستير، 1413هـ-1414هـ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

81. الإيجاز والإطناب في سورة يوسف، عبد السلام فريد مصطفى السلمان، كلّيّة الدّراسات العليا، الأردن، رسالة ماجستير.

82. جمالية الانزياح في القرآن الكريم، عبد القادر بن زيان، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، تلمسان، 2011-2012م.

-المواقع الإلكترونية:

83. الموقع الإلكتروني: saltafs /httpM//. Ksu. Edu/ المصحف الإلكتروني، تفسير القرطبي، 2023/05/05، 10:00.

84. الموقع الإلكتروني: STARTIMES. COM/ F.OSPX، 12/5/2023م، 11:03.

فهرس المحتويات

فهرس المحويات

العنوان.....	الصفحة
إهداء.....	/
شكر وتقدير.....	/
مقدمة	أ. ج
الفصل الأوّل: **مركزيّة الإيجاز في الثّقافة العربيّة.**	**06**
المبحث الأوّل: الإيجاز في السّياق العربي القديم.....	07
1. عند النّحويين.	08
2. عند البلاغيين.	10
المبحث الثّاني: الإيجاز في السّياق العربي الحديث.....	13
1. عند عبد الفتّاح البسيوني.....	13
2. عند أحمد الهاشمي.....	13
3. عند عبد الدّايم صابر.	13
4. عند عبد الله دراز.	14
5. عند سيّد قطب.	14
6. عند عائشة عبد الرّحمان.	15
المبحث الثّالث: أسلوب الإيجاز قراءة في المصطلح، المفهوم والأنواع	16
1. الإيجاز في إطاره المصطلحي.....	16
2. الإيجاز في إطاره المفهومي.....	18
3. في أنواع الإيجاز.	19

الفصل الثّاني: الأثر الفنّي والجمالي في القرآن الكريم –دراسة تطبيقيّة–	32
المبحث الأوّل: النّظم القرآني في سورة يوسف.....	33
1. التعريف بسورة يوسف.....	33
2. الخصائص الفنية و اللغوية في سورة يوسف.....	37
3. الظواهر الاسلوبية في سورة يوسف.....	39
المبحث الثّاني: ظلال الإيجاز الدّلاليّة والجماليّة.....	45
1. دلالة الايجاز و جماليته في سياقات الحذف.....	45
2. دلالة الايجاز و جماليته في سياقات القصر.....	60
خاتمة	68
ثبت المصادر والمراجع	72
فهرس المحتويات.....	80

الملخّص:

يتناول البحث ظاهرة الإيجاز في القصص القرآني، فيعرض مفهومها وانواعها على ضوء سورة يوسف الّتي مالت سياقاتها إلى الاختصار والإعجاز معا، فهو بحث يجمع بين مطالب القواعد النّحويّة ولطائف البلاغة القرآنيّة في قصّة متكاملة متناسقة، تستميل القارئ بفهم قرائي منقطع النّظير، كما يروم البحث إلى إظهار مكامن الإيجاز البلاغيّة والدّلاليّة والجماليّة والفنّيّة في قصّة يوسف ؛ القائمة على الاقتصاد في عرض الأحداث والاختصار في نقل المشاهد، فكيف يستطيع الإيجاز كمطلب بلاغي أن يحقّق ذلك ويؤثّر على نفسيّة المتلقّي للخطاب القرآني.

الكلمات المفتاحيّة:

القصص القرآني ـ الإيجاز ـ الحذف ـ الجمالية ـ الفنّيّة ـ الدّلالة .

Abstract:

This research examines the phenomenon of conciseness in Quranic stories, presenting its concept and types in light of the story of Prophet Yusuf, which demonstrates a combination of brevity and eloquence. It is a study that integrates the requirements of Arabic grammar and the intricacies of Quranic rhetoric in a comprehensive and coherent narrative, captivating the reader with its unparalleled literary appeal. The research aims to highlight the rhetorical, semantic, aesthetic, and artistic aspects of conciseness in the story of Yusuf, which relies on economy in presenting events and succinctness in conveying scenes. How can conciseness, as a rhetorical requirement, achieve such an impact and influence the recipient's psyche in relation to the Quranic discourse؟

Keywords:

Quranic stories, conciseness, omission, aesthetics, artistic, significance.